

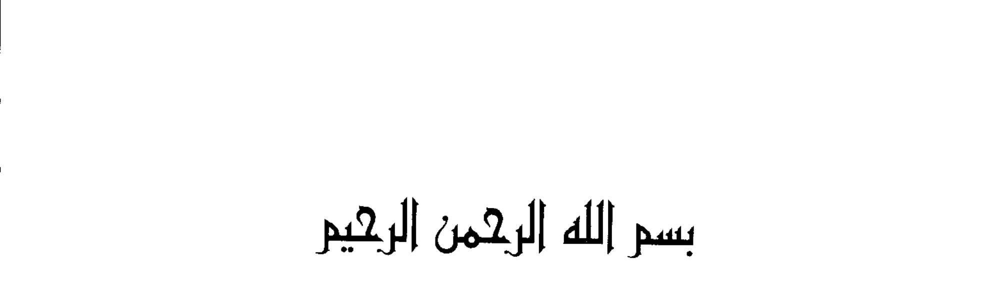
كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الأسرة المسلمة في ضوء القرآن

دكتور

حسن محمد باجودة

السنة الثالثة عشرة
رجب ١٤١٥هـ - العدد ١٥١


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد:

فهذه الدراسة وعنوانها (الاسرة المسلمة في ضوء القرآن) من بين اهدافها تبين الاحوال الهنية للاسرة المسلمة التي تؤمن بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبالمصطفى صلى الله عليه وسلم نبيا، وبالقرآن الكريم، الذي تبينه السنة النبوية المطهرة، منهاجا ودستورا. «خصوصا وان الحملات الاعلامية والتضليلية تزداد ضراوة في الايام الاخيرة» كما جاء في الخطاب الالحاقي لمعالى الامين العام لرابطة العالم الاسلامي الدكتور احمد محمد علي ـ حفظه الله ـ الموجه اليَّ في ٤/ ٧/ ١٤١٥هـ. بشأن التنبيه والتحذير من الهجمات الشرسة من قبل الخصوم ضد الاسرة المسلمة ووجوب التصدى لتلك الهجمات وتفنيدها.

ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الاول للتشريع في الاسلام فقد تمت بفضل الله تعالى هذه الدراسة المتعلقة بهذا الكتاب العزيز كما يبدو من العنوان.

ولما كانت السنة المطهرة هى المصدر الثاني للتشريع فقد أُعْتُمِدَ تبين معاني الآيات الكريمات على سنة المصطفي صلى الله عليه وسَلم في المقام الاول وقد جاء في الآية الكريمة الرابعة والاربعين من سورة

النحل قول الحق جل وعلا: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مَانُزِّلَ اليهم ولعلهم يتفكرون**﴾.

إن منهج التربية الاسلامية كما يتجلى من القرآن الكريم وسنة المصطفي صلى الله عليه وسلم يهدف إلى ايجاد الانسان الصالح المصلح الذي ينفع الله تعالى به العباد والبلاد باذنه جل وعلا. وهذا الانسان الصالح المصلح ذكرا أو انثى هو عماد الاسرة المسلمة التي تشكل اللبنة الكبرى الاولى في الجماعة المسلمة ابتداء، وفي الامة المسلمة انتهاء. (وهذه الامة المسلمة لم تُخرَجْ لمصلحتها الشخصية، وانما أُخرجت للناس بأمر من الله تعالى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى).

ولما كان خصوم هذا الدين يحاولون بوسائل شتى افساد منهج التربية الإسلامية وذلك بالعمل على صرف الانسان المسلم عن الصراط المستقيم الى اتباع سبل الشيطان الرجيم والنفس الامارة بالسوء لذلك كان في هذه الدراسة محاولة لفضح هذا العمل اعتمادا على التجربة العملية والممارسة الشخصية اضافة الى القراءة.

ولما كانت عناية القرآن الكريم بافراد الاسرة المسلمة، رجالا ونساء، كبارا وصغارا، كبيرة وشاملة، فقد كانت منا في هذه الدراسة محاولة لجذب الشئ الى نظيره والمعنى الى شبهه. ولما كانت عناية القرآن الكريم كبيرة وشاملة ايضا بالعديد من المسائل التي ينبغى على الانسان السوي ان ينسجم معها ويتناغم فقد كان بين يدى هذه الدراسة تمهيد يشير الى هذه المسائل التي لها دورها باذن الله تعالى في سبيل ايجاد المسلم الصالح المصلح.

لكل ماسبق كانت المعالم البارزة في هذه الدراسة قد اندرجت تحت هذه العناوين .

(١) تمهيد .

(٢) الحث على بناء الاسرة المسلمة .

(٣) اخذ الحذر من مخططات الخصوم لهدم الاسرة المسلمة .

(٤) بعض الوسائل لحماية الذرية .

(٥) حماية عفاف الاسرة المسلمة .

(٦) حماية حقوق الاسرة المسلمة .

وفي الختام أسأل الله تعالى ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم انه جل وعلا اكرم مسؤول واعظم مأمول .

﴿ربنا لا تؤخذنا ان نسينا او اخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به . واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير الى عفو ربه

د . حسن محمد باجودة

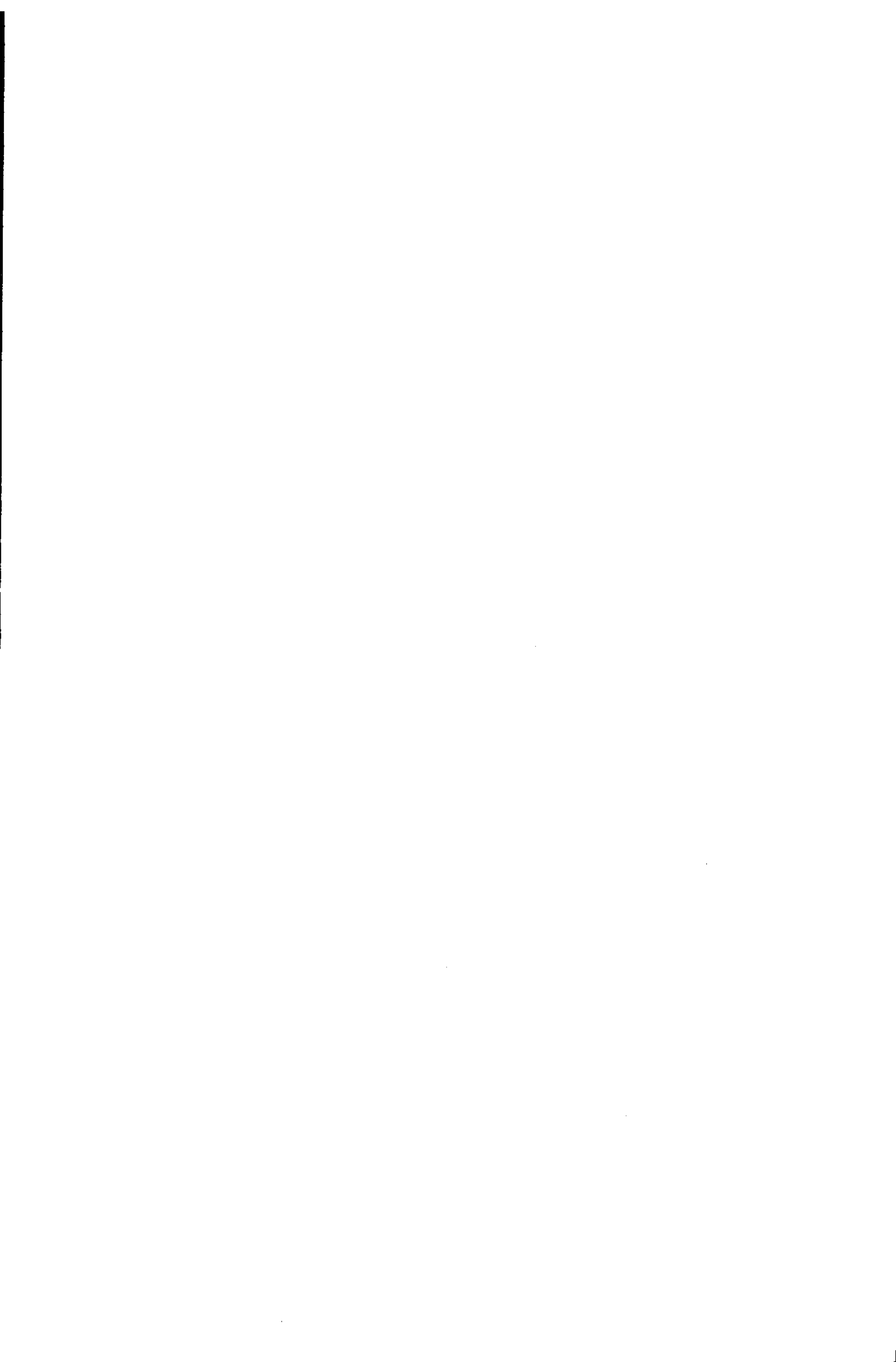
استاذ الدراسات القرآنية البيانية

وعميد كلية اللغة العربية

بجامعة ام القرى/ مكة المكرمة

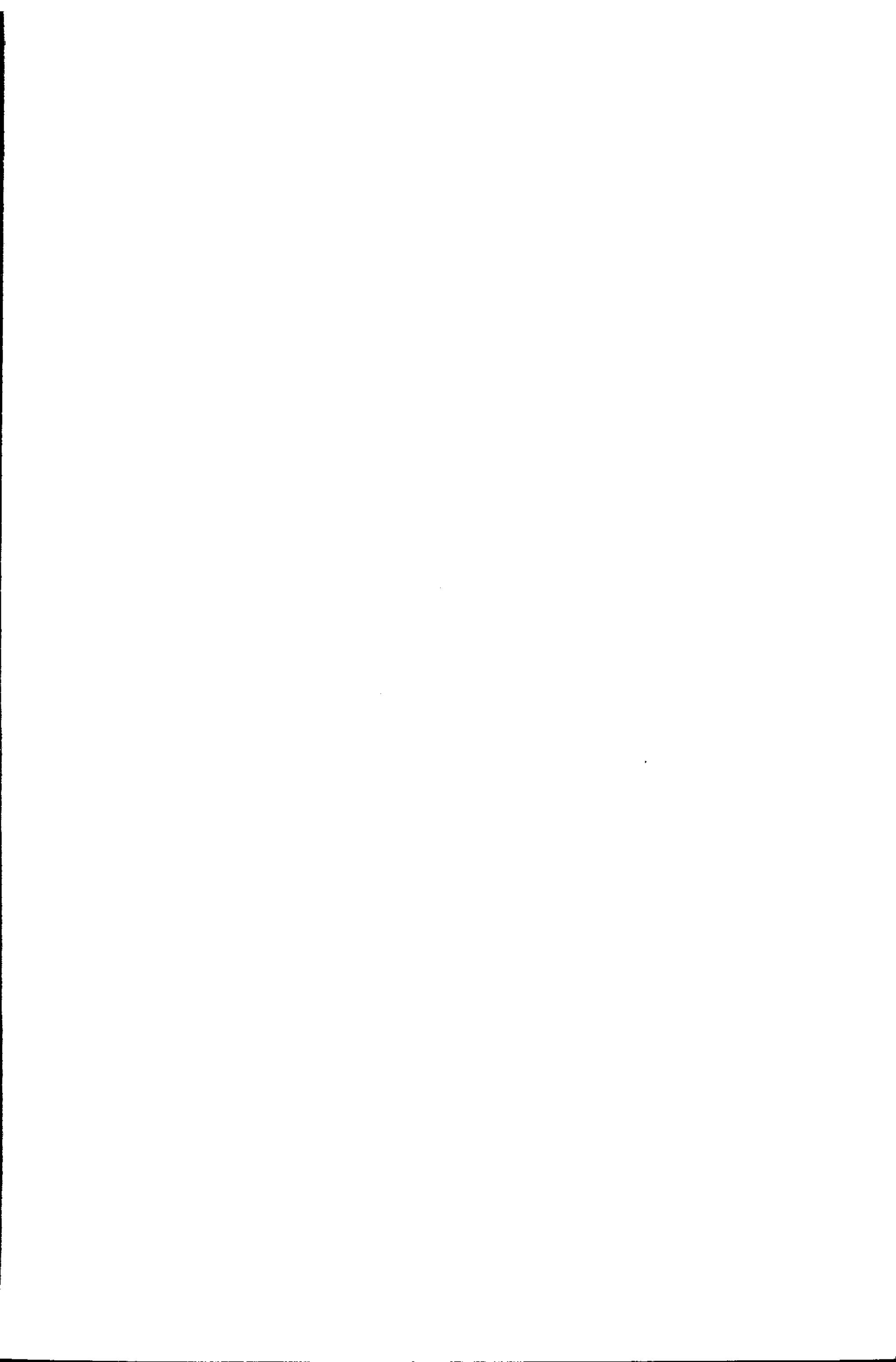
يوم الجمعة ١٤ رجب ١٤١٥هـ

الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٩٤م



(١)

تمهيد



توطئة للحديث عن الاسرة المسلمة في ضوء القرآن الكريم نود ان ان نشير الى بعض المسائل في هيئة نقاط :

أولا : خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والارض في ستة ايام، الله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقتها . ونحن حينما نجمع - مثلا - بين الآيات الكريمات التي تحدثت عن هذه المسألة في كل من سورة فصلت والنازعات نستطيع ان ننتهي الى اكبار رأي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في توزيع الايام الستة على عملية خلق السماوات والارض ذات المراحل الثلاث . جاء عن ابن عباس ان الله تعالى : (خلق الارض بأقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الارض بعد ذلك . فذلك قوله : والارض بعد ذلك دحاها)[1] جاء في سورة النازعات[2] قوله تعالى : **﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والارض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعا لكم ولأنعامكم﴾** وجاء في سورة فصلت[3] قوله تعالى : **﴿قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا . ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة[4] أيام سواء**

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/ ٢٩ وانظر ص ٣٠ .

(٢) الآيات ٢٧ - ٣٣ .

(٣) الآيات ٩ - ١٢ .

(٤) المعنى باجماع المفسرين : في تمام اربعة أيام . وانظر صفحتي ١٦٠ و١٦١ من كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل وعدم فطنة المؤلف موريس بوكاي للبلاغة بالحذف في الآية الكريمة وبالتالي لم يردَّ على الذين وهموا أننا بصدد ثمانية أيام لا ستة أيام .

للسائلين. ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها. وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا. ذلك تقدير العزيز العليم﴾ وبهذا تكون عملية خلق الأرض دون تهيئة لسكنى الانسان تمت في يومين اثنين، وتكون عملية خلق السماوات بعد ذلك في يومين اثنين، وتكون عملية تهيئة الارض لسكنى الانسان تمت في يومين اثنين تمام ستة أيام والله اعلم.[1].

ثانيا: خلق الله تعالى السماوات والارض اكبر من خلق الناس بنص القرآن الكريم قال تعالى[2]: **﴿لخلق السموات والأرض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾**.

ثالثا: خلق الله تعالى الجن والانس لعبادته جل وعلا وحده لا شريك له. قال تعالى[3]: **﴿وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾**.

رابعا: خلق الله تعالى الجن اولا ثم الانس على نحو مايتبين من قوله تعالى[4]: **﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون. والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾**.

خامسا: مفهوم العبادة في الاسلام واسع الى ابعد الدرجات. فكل عمل صالح بمقياس الاسلام يقوم به الانسان وهو يريد به وجه ربه الاعلى يعتبر عبادة، بما في ذلك لقمة الطعام التي يضعها الزوج في فم زوجه على نحو مايتبين من مثل هذا الحديث المتفق عليه والذي

---

(١) انظر كتاب: «تأملات في سورة النازعات» ٧٧ ـ ٧٩ للمؤلف.
(٢) سورة غافر ٥٧.
(٣) سورة الذاريات ٥٦.
(٤) سورة الحجر ٢٦، ٢٧.

رواه الإمام النووي في رياض الصالحين[1] عن ابي اسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري رضي الله عنه، احد العشرة المشهود لهم بالجنة، رضي الله عنهم قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: يارسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ماترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قلت: فالشطر[2] يارسول الله؟ فقال: لا. قلت: فالثلث يارسول الله؟ قال: الثلث والثلث كثير ـ أو كبير ـ إنك أن تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة[3] يتكففون الناس[4] وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتي ماتجعل في فى امرأتك[5]، فثمة شرطان ينبغي توافرهما كي يكون العمل مقبولا بإذن الله تعالى بأن يكون خالصا وصوابا، وكما يقول ابن تيمية[6]: (فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتي يكون خالصا صوابا. والخالص ان يكون لله، والصواب ان يكون على السنة).

سادسا: أراد الله تعالى لآدم عليه السلام أن يكون خليفة في الأرض كي يعمرها هو وذريته وفق منهج الله تعالى. وحينما أعلم

(١) ص ٦ و٧ وانظر استنتاج ابن الجوزي من الحديث في صيد الخاطر ٢٧.
(٢) فالشطر بالنصب والرفع: أي النصف.
(٣) عالة: أي فقراء.
(٤) يتكففون الناس: أي يمدون اليهم أيديهم بالسؤال.
(٥) أي في فمها.
(٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٧.

رب العزة الملائكة بأنه جل وعلا جاعل في الأرض خليفة كان منهم إشفاق أن يفسد جنس الإنسان في الأرض ويسفك الدماء بينما هم مخلصو العبادة لله تعالى ولا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون. وإذا كان الملائكة قد تجلت فيهم - بإذن الله تعالى - العبادة فإن آدم عليه السلام قد تجلى فيه - بإذن الله تعالى - العلم. ودليلا على فضل العلم على العبادة أمر الله تعالى الملائكة ان تسجد لآدم عليه السلام سجود تحية وتعظيم. وفي هذه المعاني جاء قول الحق جل وعلا في سورة البقرة[1]: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال إني أعلم ما لا تعلمون. وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون﴾**.

سابعا: اذا كان الملائكة مفردي الارادة لا يصدر عنهم إلا الخير، وكان الإنسان ثنائي الإرادة يصح أن يصدر عنه كل من الخير والشر، فإن الانسان يستطيع بإذن الله تعالى وحينما يتقى الله تعالى ما استطاع أن يسمو إلى درجة الملائكة، بل إن من العلماء من ذهب إلى أن الانسان الذي يتقى الله تعالى حق تقواه يستطيع بفضل الله تعالى أن

---

(١) الآيات ٣٠ـ٣٣.

يتقدم الملائكة[1] والمعروف أن ذرية آدم عليه السلام لم يسلبهم الله تعالى شيئا من النعم التي اختص الله تعالى بها آدم عليه السلام. وقد قال عز من قائل[2]: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾**.

ثامنا: بعد ان أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام سجود تحية وتعظيم سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس اللعين الذي كان من الجن بنص القرآن الكريم[3] والذي فسق عن امر ربه جل وعلا فأبى واستكبر وكان من الكافرين واستنكف وهو الذي خلقه الله تعالى من نار أن يسجد لآدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى من طين. إن اللعين يرى أن النار التي خلقه الله تعالى منها أسمى من الطين الذي خلق الله تعالى منه آدم عليه السلام. وهكذا جمع اللعين بين معصية الله تعالى من ناحية وبين حسده لآدم عليه السلام من ناحية أخرى. لذا تعهد اللعين باغواء آدم عليه السلام والناس اجمعين إلا عباد الله تعالى المخلصين ومع ان علم الله تعالى قد سبق الى ماسوف يقوم به اللعين من سوء فإن رب العزة إنما يحاسب عباده بأعمالهم وليس بعلمه السابق، لذا فقد امهل الله تعالى اللعين الى وقت النفخة الاولى التي يموت بسببها الخلائق بإذن الله تعالى، ولم يلب جل وعلا طلب اللعين بأن يمهله الى وقت النفخة الثانية التي يحيي بسببها الخلائق بإذن الله تعالى لان هذه

(١) انظر هنا مثلا صيد الخاطر لابن الجوزي ٥٤.
(٢) سورة الاسراء ٧٠.
(٣) سورة الكهف ٥٠.

النفخة الثانية يرتبط بها الخلود في حين يرتبط بالنفخة الاولى الموت. لقد كان اللعين حريصا على الخلود.

تاسعا : اذا كان رب العزة قد خلق آدم عليه السلام من طين فإن زوجه حواء عليها السلام قد خلقها الله تعالى من ضلع من اضلاعه، من شقه الأيسر كما روى عن ابن عباس[1] جاء في سورة النساء[2] قوله تعالى : **﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء. واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيبا﴾**.

عاشرا : أمر الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجه حواء عليهما السلام الجنة، وأذن لهما أن يأكلا منها حيثما شاءا، ونهاهما عن مجرد الاقتراب من شجرة بعينها، وحذرهما من الشيطان الرجيم العدو اللدود لهما ان يخرجهما من الجنة.

حادي عشر : بإذن الله تعالى الذي أراد أن يجعل في الأرض خليفة تمكن الشيطان الرجيم من إغواء آدم وحواء عليهما السلام بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن مجرد الاقتراب منها، وبذلك عصى آدم عليه السلام ربه جل وعلا وغوى، ثم اجتباه ربه جل وعلا فتاب عليه وهدى، بأن ألهمه ربه جل وعلا كلمات يقولها آدم وزوجه حواء عليهما السلام. والكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه جل وعلا هي التي جاءت في هذه الآية الكريم من

(١) تفسير الطبري ٤/ ٥٠.
(٢) الآية ١.

سورة الأعراف[1] قال تعالى: ﴿**قالا ربنا ظلمنا انفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ وإلى هذه الكلمات في آية سورة الأعراف الكريمة أشارت هذه الآية من سورة البقرة[2]: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه. إنه هوالتواب الرحيم**﴾.

ثاني عشر: غاية اللعين الخسيسة القريبة من إغراء آدم وحواء عليهما السلام بالأكل من الشجرة أن ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواءتهما وعوراتهما التي يسوء كلا من الذكر والأنثى السويين انكاشفها. وإلى هذه الغاية القريبة للّعين أشار قوله تعالى في سورة الأعراف[3]: ﴿**فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماوري عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما[4] إني لكما لمن الناصحين**﴾ وغاية اللعين الخسيسة البعيدة من إغراء آدم وحواء عليهما السلام بالأكل من الشجرة أن يخرجهما من الجنة والنعيم اللذين هما فيه. والى هذه الغاية البعيدة للعين أشار قوله تعالى في سورة الاعراف[5]: ﴿**فدلاهما بغرور. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**﴾.

ثالث عشر: اذا كان اللعين قد أخرج بإذن الله تعالى آدم وحواء

---

(١) الآية ٢٣.
(٢) الآية ٣٧.
(٣) الآية ٢٠ و٢١.
(٤) أي أقسم لهما بالله.
(٥) الآية ٢٢.

عليهما السلام من الجنة بباعث معصية الله تعالى والاستنكاف أن يمتثل لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام سجود تحية وتعظيم لأن اللعين يحسد آدم عليه السلام فإن المعصية بباعث الكبر استحق اللعين من اجلها أن يؤمر بالهبوط من المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى[1] قال تعالى[2]: **﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إنك من الصاغرين﴾** ثم إن تكفل اللعين بإغواء بني آدم بباعث الحسد لآدم عليه السلام قد استحق من أجله اللعين أن يؤمر بالخروج من الجنة مذءوما معيبا[3] مدحورا مطرودا[4] قال تعالى[5]: **﴿قال اخرج منها مذءوما مدحورا. لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾**.

رابع عشر: بشأن هذه الآية الكريم من سورة الأعراف[6] قال تعالى: **﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾** جاء في تفسير ابن كثير[7]: (والعمدة في العدواة آدم وإبليس ولهذا قال تعالى في سورة طه[8]: **﴿قال اهبطا منها جميعا﴾** الآية، وحواء تبع لآدم.

خامس عشر: بعد أن هبط آدم وحواء عليهما السلام الى الارض

---

(١) أنظر مثلا تفسير ابن كثير ٢/ ٢٠٤ وتفسير الطبري ٨/ ٩٨ والكشاف ١/ ٥٤١ والجلالين والبحر المحيط ٤/ ٢٧٤ وتفسير القرطبي ٢٦٠٩.
(٢) سورة الاعراف ١٣.
(٣) تفسير الطبري ٨/ ١٠٣ وتفسير ابن كثير ٢٠٥.
(٤) تفسير الطبري ٨/ ١٠٣ وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٠٥.
(٥) سورة الاعراف ١٨.
(٦) الآية ٢٤.
(٧) ٢/ ٢٠٦.
(٨) الآية ١٢٣.

بإذن الله تعالى الذي بث منهما رجالا كثيرا ونساء وتكونت الأمة كانت هذه الأمة على دين واحد هو دين الاسلام لله رب العالمين. وبمرور الوقت بدأت هذه الأمة تختلف وتتفرق بها السبل فظهرت الحاجة إلى إرسال رسول يعيد من تفرقت بهم السبل عن سبيل الحق إلى الجادة، فكان نوح عليه السلام أول رسل الله تعالى كما قال ابن عباس[1] لحديث الشفاعة، فإن الناس يقولون له: أنت أول الرسل[2] وكان محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف المرسلين. قال تعالى[3]: **﴿ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين. وكان الله بكل شئ عليما﴾** والى اختلاف الناس بعد ان كانوا أمة واحدة على دين واحد هو دين الاسلام لله رب العالمين[4] وبَعْث الله تعالى النبيين وإنزال الكتب معهم أشارت هذه الآية الكريمة من سورة البقرة[5] قال تعالى: **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغيا بينهم. فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** وإن القول في آية سورة البقرة: **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين﴾** الآية يفسره قول الحق جل وعلا في سورة يونس[6]: **﴿وماكان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا. ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾**.

(١) تفسير الطبري ٢/ ١٩٤ وتفسير ابن كثير ١/ ٢٥٠.
(٢) تفسير القرطبي ٨٤٠. طبعة الشعب القاهرة.
(٣) سورة الأحزاب ٤٠.
(٤) الكشاف ١/ ٢٦٩.
(٥) الآية ٢١٣.
(٦) الآية ١٩.

سادس عشر: بعث الله سبحانه وتعالى جميع النبيين والمرسلين بدين الاسلام. وللفظ الإسلام معنيان اثنان عام وخاص. ومعنى الإسلام العام الاستسلام لله تعالى بالخضوع، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك. جاء خطابا للمصطفى صلى الله عليه وسلم في سورة الانبياء[1] قوله تعالى: **﴿وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** وقد بعث الله تعالى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأشرف المرسلين بالصورة الاخيرة لدين الاسلام وللحنيفية السمحة دين ابراهيم عليه السلام أبي الأنبياء. ودين الاسلام الذي بعث الله تعالى به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ناسخ لكل دين سواه. وحينما يطلق لفظ الإسلام بمعناه الخاص يراد به دين الإسلام الذي بعث الله تعالي به محمدا صلى الله عليه وسلم، واكمله جل وعلا ورضيه لعباده وأتم به النعمة عليهم. جاء على لسان نوح عليه السلام الاشارة إلى دين الإسلام بمعناه العام في خطابه عليه الصلاة والسلام قومه في قوله عز من قائل في سورة يونس[2]: **﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾** وجاءت الإشارة إلى دين الإسلام بمعناه الخاص في الآية الكريمة التي نزلت يوم الجمعة بعرفات في حجة الوداع، قال عز من قائل[3] **﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾**[4].

(١) الآية ٢٥.
(٢) الآية ٧٣.
(٣) سورة المائدة ٣.
(٤) بينا معنى الاسلام العام والخاص في كتابنا: أجوبة على اسئلة، في اثناء الجواب على السؤال: ماهي الظروف التي وُلد فيها الاسلام ١١ـ١٨.

سابع عشر: حينما بلغت الانسانية مرحلة الرشد ولاءمتها الرسالة الخاتمة بعث الله تعالى خاتم النبيين وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الى الناس أجمعين. ثبت في الصحيحين من حديث جابر بن عبدالله انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلى. نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث الي قومه وبعثت الى الناس عامة[1] وقد جاء النص على عالمية رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم في العديد من السور المكية التي نزلت قبل الهجرة جاء في سورة الفرقان[2] قوله تعالى: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾** وجاء في سورة سبأ[3] قوله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾** وجاء في سورة الأعراف[4] قوله تعالى: **﴿قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾** وهذه الرسالة العالمية الخاتمة التي بعث الله تعالى بها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم يلائمها الكتاب السماوي الخاتم الواحد الذي تكفل الله تعالى بحفظه الى يوم

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٥٥.
(٢) الآية ١.
(٣) الآية ٢٨.
(٤) الآية ١٥٨.

الدين دون سواه من الكتب السماوية التي أوكل الله سبحانه وتعالى مهمة حفظها الى العلماء الذين خانوا الأمانة في مجموعهم. جاء في حق القرآن الكريم قول الحق جل وعلا[1]: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** وقول الحق جل وعلا[2]: **﴿وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون. بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم. ومايجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾** وإن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم مبينة للقرآن الكريم والمراد بالسنة النبوية المطهرة أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته. والمراد بتقريراته صلى الله عليه وسلم ما أقر فعله دليلا على أنه حلال. ومن ذلك ان الضب قد أكل على مائدته عليه الصلاة والسلام فعلم أن أكله حلال على الرغم من كون نفس المصطفى صلى الله عليه وسلم تعاف أكل الضب. والمراد بصفاته صلى الله عليه وسلم شمائله عليه الصلاة والسلام. ومن ألطف ما ألف في هذا الجانب كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي. ويشتمل كتاب الشمائل المحمدية على ثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا[3] وقد سخر الله سبحانه وتعالى جيشا من العلماء خدموا السنة المطهرة خدمة بالغة ومحصوها ونفوا الزيف عنها وميزوا صحيحها[4]. وهذه السنة النبوية المطهرة هي المبينة للقرآن الكريم. وقد قال عز من قائل[5]:

﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانُزِّلَ إِليهم ولعلهم يتفكرون﴾.

---

(١) سورة الحجر ٩.

(٢) سورة العنكبوت ٤٨ و٤٩.

(٣) الشمائل المحمدية ٣.

(٤) انظر هنا الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي ٩٣ فما بعدها.

(٥) سورة النحل ٤٤.

ثامن عشر: إنَّ تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم وإنَّ تسخيره جل وعلا جيشا من العلماء لخدمة السنة النبوية المطهرة نجم عنهما المعرفة الكاملة لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وبذلك تسنى اتخاذ المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة مصداقا لقول الحق جل وعلا في سورة الاحزاب[1]: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾** إن سيرة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم من بين سيرة سائر النبيين والمرسلين عليهم جميعا صلوات الله تعالى وسلامه هي السيرة الوحيدة في الدنيا الكاملة غير الناقصة، العلمية. الموثقة، التاريخية المتواترة. إنا نعرف كل صغيرة وكبيرة عن هذا الانسان الكامل إلى الحد الذي نعرف أنه عليه الصلاة والسلام توفي وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[2] وقد شاء الله تعالى لشخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم ان تتسع لكل انسان يحرص على محاكاتها، في حدود الطاقة، في ذلك الجانب الذي تخصص فيه هذا الانسان أو ذاك. كن من شئت وسوف تجد في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتك الحسنة. كن على سبيل المثال، رب اسرة، ونحن بصدد الحديث عن الأسرة المسلمة في ضوء القرآن الكريم، واتخذ منه صلى الله عليه وسلم أسوتك الحسنة وحاول جهد الطاقة أن تحاكي المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي تتسع حياته لكل انسان، وان تتأسى به في هذا الجانب الضيق الذي تتخصص أنت فيه. إنك سوف

(١) الآية ٢١.
(٢) االشمائل المحمدية ١٤.

تتبين ان النفس التي باركها الله تعالى هي فقط تلك التي وفقها جل وعلا كي تتمكن من محاكاة المصطفى صلى الله عليه وسلم في بعض نواحي ذلك الجانب الضيق المتخصصة فيه. كن على سبيل المثال زوجا وأبا وجدا وغلاما وشابا ورجلا وعائل أسرة. كن من شئت في هذه الاسرة المسلمة فإنك واجد في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتك الحسنة. وفي غير مجال الاسرة كن من شئت فإنك واجد في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوتك الحسنة. كن داعية ومعلما ومربيا وإماما وقاضيا وحاكما ومحكوما وطالب علم، وقائدا، ومنتصرا، ومنهزما ـ لا سمح الله ـ وتاجرا، ومبرم معاهدات، وفارسا مغوارا، وعالم نفس. كن من شئت داخل نطاق الاسرة او خارجه وابحث في هذه الدنيا الطويلة العريضة عن الشخصية الوحيدة التي هي أهل لأن تُتَّخذ أسوة حسنة والتي يمكن ان تتخذها أسوة حسنة فإنك سوف تنتهي إلى أن هذه الشخصية هي شخصية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم دون سواه. وإنه ربما سبق إلى روع بعضهم أن في الإمكان اتخاذ موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام أسوة حسنة ولكن الحقيقة أن ذلك غير ممكن. إنا بشأن موسى عليه السلام لا نعلم إلا مولده وشبابه وهجرته وزواجَه وبعثته ثم قتاله المشركين إلى أن لقيناه مرة أخرى وهو يرتعش من الكبر وقد أدركه الهرم وبلغ من العمر عشرين ومائة سنة[١] وإنا بشأن عيسى عليه السلام نتبين أن البحث العلمي اخيرا يقرر أنا لا نكاد نعرف عن عيسى عليه السلام إلا ما له علاقة فقط بالأيام الخمسين الأخيرة من حياته صلى الله عليه وسلم[٢].

---

(١) الشمائل المحمدية ١٤.

(٢) انظر مثلا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن الندوي ١٣ والرسالة المحمدية ٥٧ و٥٨

واليك هذا الاقتباس من دائرة المعارف البريطانية عام ١٩٧٥ :

It is difficult to write with certainty an authentic life of Jesus.. None of the sources of his life and work can be traced to Jesus himself. He did not leave a single known written word.

وهذه هي الترجمة : إنه من الصعوبة بمكان أن تكتب عن عيسى سيرة يطمأن إلى صحتها ، وإنه ليس شيء من المصادر المتعلقة بحياته وعمله مايمكن تتبع سنده إلى عيسى نفسه . إنه لم يترك كلمة واحدة مكتوبة[١] .

ثم ان عيسى عليه السلام متخصص في الروحانيات وحدها ، ومعروف ان الحياة روح ومادة ولهذا اتسم اتباعه عليه الصلاة والسلام بالتخصص في الروحانيات الى حد الرهبنة التي ماكتبها الله تعالى عليهم إلا ابتغاء رضوان الله تعالي . أما الغالبية العظمى من أتباعه عليه الصلاة والسلام التي شق عليها التخصص في الروحانيات فقد كان بعدها عن الروحانيات وانغماسها في متاع الدنيا شديدين .

ثم إن زعم الغلاة من اتباعه عليه الصلاة والسلام بأنه ابن الله : **﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا﴾**[٢] قد جعل من الصعوبة بمكان إتخاذه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة .

وحينما تكون سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ وهي المصدر

---

(١) أشرنا الى هذا المعنى في دراستنا بعنوان : من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ٥٠ ـ ٥٥ .
(٢) سورة الكهف ٥ .

الثاني للتشريع - هي المبنية لمعاني القرآن الكريم، فذلك معناه أن الحديث في أي موضوعات القرآن الكريم معناه الحديث في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم المبنية للقرآن الكريم. ولا يكاد العجب ينتهي من أولئك المحسوبين على الإسلام الذين يعطلون سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم أو يريدون تعطيلها. إن هؤلاء يصدق فيهم قول الحق جل وعلا[1]: **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾** إن الذي يريد أن يعطل سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم يشبه ذلك الذي يريد ان يدخل قصرا ولكنه لا يريد أن يستعمل المفتاح الأصلي الذي يستطيع به وحده أن يفتح الباب[2].

والمعروف أن القرآن الكريم ينفرد بين سائر معجزات النبيين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين بأنه يجمع بين كونه المعجزة والمنهج معا، ومن هنا كان التحدي بالقرآن الكريم وحده من بين سائر الكتب السماوية، والمعروف كذلك أن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم هي المبنية للقرآن الكريم.

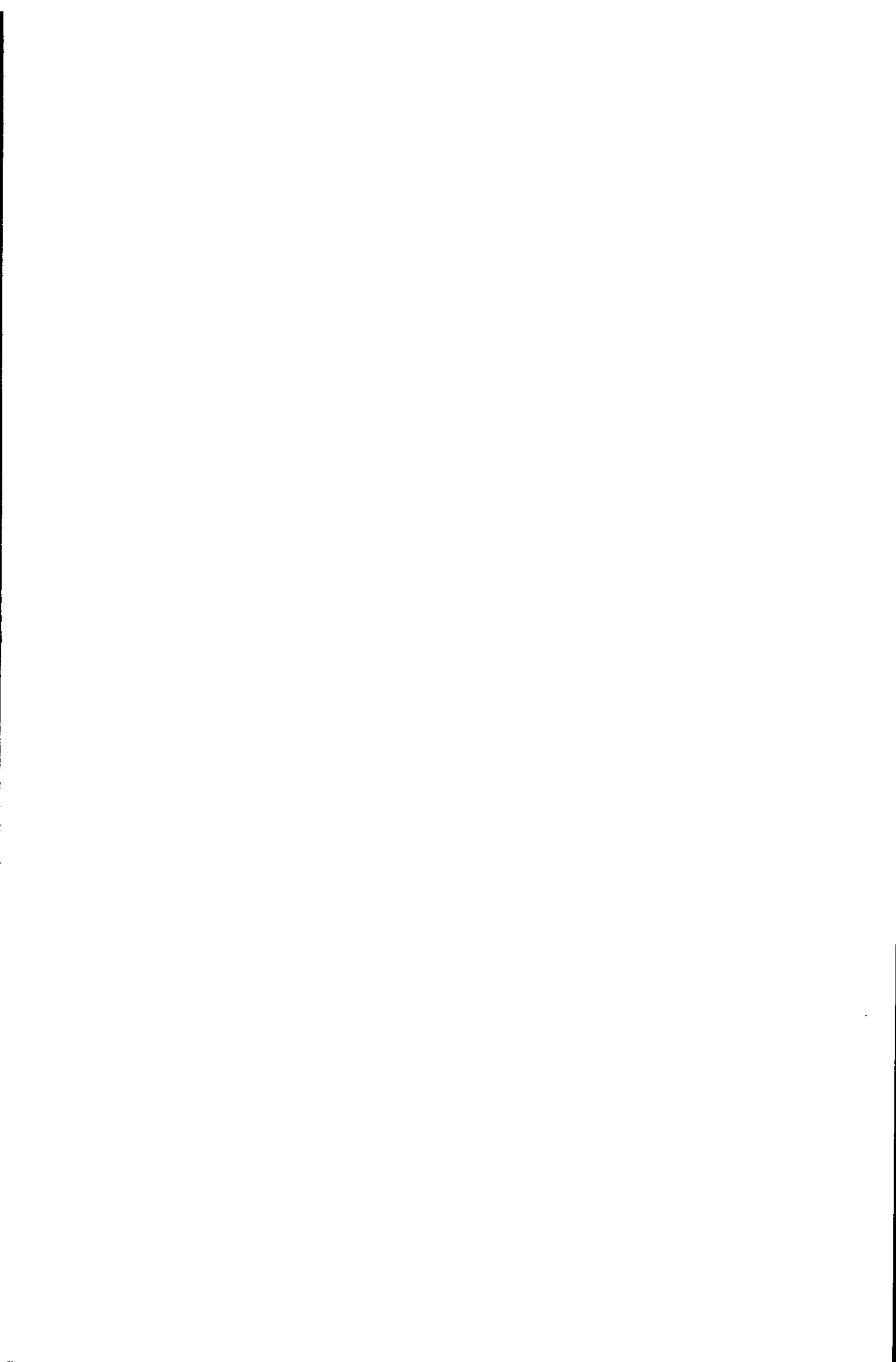
تاسع عشر: منهج القرآن الكريم التربوى يهدف إلى إيجاد الإنسان الصالح. ومن هذا الانسان الصالح، ذكرا وأنثى، تتألف الأسرة المسلمة. فلنتحول إلى الحديث في عناصر موضوع: الأسرة المسلمة في ضوء القرآن.

---

(١) سورة الحج ٤٦.
(٢) الاسلام على مفترق الطرق ٩١.

(٢)

الحث على بناء الأسرة المسلمة



إن الاسلام دين الفطرة يعطي الحق والخير نصيبهما الموفور من العناية ولا يهمل الجمال والزينة بل يعطيهما حقهما في ضوء تفضيل دين الإسلام وكل دين سماوي الحق والخير على الجمال والزينة. ولما كان انجذاب الجنس إلى الجنس الآخر أمرا فطريا فقد أكده الإسلام وهذبه ووجهه الوجهة الصحيحة ووضع الضوابط الكفيلة بالوصول بهذه الغريزة إلى نهاية المطاف وبر الامان. ومن هذه الضوابط الحث على الزواج وتهيئة الوسائل لتحقيقه من أجل بقاء النوع الانساني الذي خلقه الله تعالى من أجل عبادته تعالى وإفراده جل وعلا بهذه العبادة. لقد وضع كل من القرآن الكريم والسنة النبوية هذه الضوابط. إن رب العزة زين للناس حب الشهوات ابتداءً بالنساء والبنين. قال تعالى[1]: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**﴾ ويلاحظ أن الآية الكريمة تنص على الشهوات. والشهوة: نزوع النفس الى ماتريده[2] وتبدأ بالنساء تنبيها على أن ميل الذكر إلى الأنثى فطري ويتقدم غيره من الشهوات. وإن الشئ ذاته يقال عن ميل الأنثى الى الذكر. وبعد تقديم النساء في الذِّكْر يأتي ذكر الثمرة أعني البنين. ومن الطبيعي ان تتأخر الثمرة فِي الذِّكْر أعني البنين عن الحرث أعنى النساء، خاصة وأننا أمام لفظ الشهَوات في الآية الكريمة. وبشأن الترتيب العجيب للشهوات في الآية الكريمة «يصح القول إن هذه الشهوات رتبت وفق أهميتها من

---

(١) سورة آل عمران ١٤.

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني: «شها» ٢٧٠.

ناحية، وإمكان تحققها من ناحية أخري»[1] والآية الكريمة في سبيل وضع الضوابط أمام هذه الشهوات، بقصد أن يأخذ المسلم بطريقة صحيحة حظه من الدنيا، تنص على ان هذه الشهوات متاع الحياة الدنيا وأن الله تعالى عنده حسن المآب بمعنى المرجع. وبشأن لفظ المتاع يرتبط به الاستمتاع من ناحية، وقصر المدة من ناحية أخرى. يقال متع النهار متوعا ارتفع قبل الزوال[2].

وبقصد أن يأخذ المسلم حظه من الدنيا دون إسراف تصف هذه الآية الكريمة من سورة النساء[3] الزوجات المؤمنات بمجموعة من الصفات والنعوت. قال تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم. فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله**﴾ وصفة الصلاح تشمل مجموعة من النعوت في طاعة الله تعالى من إيمان وتقوى وإحسان وما إلى ذلك. والقانتات الطائعات للأزواج. والحافظات للغيب هو مايغيب ويستتر من حقوق الزوج التي أُوتمنت عليها الزوجة من فرج ومال للزوج وولد وقول وما إلى ذلك[4] وإن هذه المعاني السامية والصفات الحسنة التي يراد منها تهذيب الشهوات وتوجيهها الوجهة الصحيحة تؤكدها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في انتقاء الزوجة ذات الدين في المقام الأول: في صحيح مسلم: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. رواه أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم. وفائدة هذا التمثيل أن الجنة

---

(١) تأملات في سورة آل عمران ٥٧.
(٢) أنظر القاموس: «متع».
(٣) الآية ٣٤.
(٤) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة النساء ١٤٧ ـ ١٦٤ (مخطوط).

لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها، وأن النار لا يُنْجَى منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها[١] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ماتركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء). أخرجه البخاري ومسلم. ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء[٢] وفي سنن بن ماجه عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن. ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين. ولأمة سوداء خرماء[٣] ذات دين أفضل[٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك[٥] قوله: وجمالها، يؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة إلا أن تعارض الجميلة غير الدَّيِّنَة غير الجميلة الدَّيِّنَة[٦] نعم لو تساوتا في الدين فالجميلة أولى. ويلتحق بالحسنة الذات الحسنة الصفات.. قوله: تربت يداك، أي لصقتا بالتراب، وهي كناية عن الفقر. وهو خبر بمعنى الدعاء، لكن لا يراد به حقيقته»[٧].

---

(١) تفسير القرطبي ١٢٧٠. طبعة الشعب القاهرة.
(٢) المصدر السابق ١٢٧١.
(٣) خرماء: مقطوعة بعض الأنف ومثقوبة الأذن.
(٤) تفسير القرطبي ١٢٧١.
(٥) فتح الباري ٩/ ١٣٢ حديث رقم ٥٠٩٠ وسنن أبي داود ٢/ ٢١٩ والنسائي ٦/ ٦٨.
(٦) في الأصل: «إلا أن تعارض الجميلة غير الدَّيِّنَة غير الجميلة الدَّيِّنَة.
(٧) فتح الباري ٩/ ١٣٥.

والزواج من سنن النبيين. قال تعالى[1]: ﴿**ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية. وماكان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله. لكل أجل كتاب**﴾ فليس محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم بدعا من الرسل في الزواج والانجاب[2] ومن آيات الله تعالى التي علينا أن نتفكر فيها أن خلق الله سبحانه وتعالى لنا من أنفسنا أزواجها نجد السكينة والطمأنينة عندهن وجعل بين الزوج وزوجه مودة ورحمة. قال تعالى[3]: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ وإن من صفات عباد الرحمن أنهم يسألون الله تعالى أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين. قال تعالى[4]: ﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**﴾ واللطيف في القول: «قرة أعين» أنه ذو علاقة بالقر[5] بمعنى البرد. إنه بسبب الحرارة الغالبة على جزيرة العرب تتأذى العين. وحينما يكون الجو باردا ويهب النسيم البارد العليل ترتاح العين وينعكس ذلك الارتياح على القلب بشرا، وعلى الصدر انشراحا، وعلى النفس سعادة، ومن هنا قيل: قرة العين وبرد الفؤاد. وإن القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين يجيء فيه القول: ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين**﴾ وفق طرائق العرب الذين نزل القرآن بلسانهم في أقوالهم[6] ومن نعم

---

(١) سورة االرعد ٣٨.
(٢) درسنا الآية الكريمة في تأملات في سورة الرعد ٢١٢.
(٣) سورة الروم ٢١.
(٤) سورة الفرقان ٧٤.
(٥) القر بضم القاف البرد.
(٦) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة الفرقان ١٧٥، الطبعة الأولى و٢٢٨ الطبعة الثانية

الله تعالى على عباده ثمرة للزواج البنون والحفدة. قال تعالى[1]: ﴿**والله جعل لكم من انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات. افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون**﴾ وإن الذين لا يجدون مايتزوجون به من مهر ونفقة وما إلى ذلك عليهم أن يستعففوا عن الزنا حين يغنيهم الله تعالى من فضله بالزواج. قال تعالى[2]: ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله. والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم. ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا. ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم**﴾ وقد جاء في صفات عباد الرحمن أنهم لا يزنون. قال تعالى[3]: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون. ومن يفعل ذلك يلق أثاما. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا. إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات. وكان الله غفورا رحيما. ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا**﴾ وعلى الجماعة أن تتعاون من أجل زواج الآيامى وهم من الجنسين من لا زوج له. قال تعالى[4]: ﴿**وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم. إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. والله واسع عليم**﴾ وقد نهى الإسلام عن التبتل بمعنى الانقطاع عن العبادة لأن الحياة تحلق بجناحين من

---

(١) سورة النحل ٧٢.
(٢) سورة النور ٣٣.
(٣) سورة الفرقان ٦٨ ـ ٧١.
(٤) سورة النور ٣٢.

الروح والجسد. يقول أنس ابن مالك رضي الله عنه: جاء ثلاثة رهط[1] إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم. فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر. قال احدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ابدا ولا أفطر. وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صلى الله عليه فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[2].

وهكذا يتبين أن الإسلام هو دين الفطرة، ودين الوسطية في كل الأمور. إن رب العزة فطر الإنسان على ميله واستعداده لإفراد الله تعالى بالعبادة وجعله جسدا يأكل الطعام ويحتاج إلى إشباع غرائزه. وإن فطرة الله تعالى الانسان على إفراده جل وعلا نتبينها في مثل قوله عز من قائل[3]: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا. فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله. ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون. منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا. كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ وإن حاجة الإنسان لتحقيق رغائبه وإشباع غرائزه

---

(١) الرهط من ثلاثة الى عشرة ويقال إنهم على بن ابي طالب وعبدالله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون. فتح الباري.

(٢) فتح الباري ٩/ ١٠٤ حديث رقم ٥٠٧٣ وأنظر صحيح مسلم ٩/ ١٧٥ و١٧٧ في حديث النهي عن التبتل والمراد به الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعا الى عبادة الله. النووي ١٧٦.

(٣) سورة الروم ٣٠ ـ ٣٢.

وفي المقدمة المرسلون نتبينها في مثل قوله عز من قائل[1] : ﴿**وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. وماجعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وماكانوا خالدين**﴾ وقوله عز من قائل[2] : ﴿**وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون. وكان ربك بصيرا**﴾ والى الوسطية التي ارتضاها الله تعالى لهذه الأمة أشار قوله تعالى[3] : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾[4] عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياعبدالله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يارسول الله. قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا[5].

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة حق على الله عز وجل عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء. والناكح الذي يريد العفاف. والمجاهد في سبيل الله[6].

---

(١) سورة الانبياء ٧ و٨.
(٢) سورة الفرقان ٢٠
(٣) سورة البقرة ١٤٣.
(٤) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة البقرة ٨٠١ ـ ٨١٠.
(٥) فتح الباري ٩/ ٢٩٩ حديث رقم ٥١٩٩.
(٦) سنن النسائي ٦/ ٦١.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة[1].

ويقول ابن الجوزي[2]: (اللذات كلها بين حسي وعقلي. فنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح. وغاية اللذات العقلية العلم).

---

(١) سنن النسائي ٦/ ٦١.
(٢) صيد الخاطر ١٤٠.

(٣)

أخذ الحذر من مخططات الخصوم لهدم الأسرة المسلمة

حينما نتأمل مايذيعه أولئك الذين يدعون بالخبراء والمتخصصين بشأن الذرية وعدد سكان الكرة الأرضية، وبخاصة مايدعى بالنصائح التي توجه إلى المسلمين على جهة الخصوص لانتمائهم إلى مايدعى بالعالم الثالث النامي أو المتخلف فإنا نتبين أن مايقال يصطدم في مجموعه بقول الحق جل وعلا[1]: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها. كل في كتاب مبين**﴾ والحقيقة أن هذه التصريحات التي توزع والنصائح التي توجه تدل في مجموعها على ضعف الايمان وعلى قلة حظ القوم من نور الوحي السماوي. ونحن بحاجة إلى أن ننقاش هذه الأقوال وإلى أن يكون لنا موقف يستظل بالوحي ويهتدى بنوره، قرآنا كريما وسنة نبوية مطهرة، وقد جاء في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم قول الحق جل وعلا[2]: ﴿**والنجم إذا هوي. ماضل صاحبكم وماغوى. وماينطق عن الهوى. إن هو الا وحي يوحى**﴾.

إن من الكلام المعار المكرور القول بأن العالم مقبل على مجاعة وأن الموارد الغذائية في الكرة الأرضية لا تتكافأ مع الانفجار السكاني فعليكم أيها المسلمون على جهة الخصوص أن تحددوا النسل ومن هنا تبينا أن الدول الغنية المتحضرة المتقدمة في مجال الصناعة تتبرع دون مقابل بتقديم وسائل منع الحمل بحيث إنك في

---

(١) سورة هود ٦.

(٢) سورة النجم ١ ـ ٤.

شبه القارة الهندية مثلا وعلى حد قول بعض الاساتذة من تلك القارة لي: إنك في تلك القرى لن تعدم بعض الاطفال الذين يحاولون عبثا بأفواههم نفخ بعض وسائط منع الحمل الجلدية التي تقوم بدور شبيه بالعزل ظنا من أولئك الأطفال الأبرياء أن مايحاولون نفخه ويستعصى عليهم من جنس لعب الأطفال التي تنفخ بالأفواه أو بالآلات! وبحيث إنك لا يكاد ينتهي عجبك من دولة كالسويد يأخذ عدد سكانها في النقصان باطراد ومع ذلك فإنها تبرم اتفاقا مع دولة الباكستان لتزويدها بوسائل منع الحمل في الوقت الذي تشكو فيه السويد من قلة الشباب وكثرة الشيوخ والعجائز[1] وبذلك يصدق في حقها المثل: رمتني بدائها وانسلت.
وبحيث إنك تنظر مثلا إلى دول جنوب شرقي آسيا التي كانت بلادا إسلامية كي تتبين أن الاستعمار كي يفقد تلك البلاد شخصيتها الاسلامية بالأجناس غير المسلمة، وبخاصة الصينية، فأصبح المسلمون أقلية هامشية في سنغافورة مثلا حيث إن عدد المسلمين أصبح الآن يقل عن عشرين بالمائة، في الوقت الذي أحتفظ فيه شخصيا ببعض الطوابع البريدية التي عليها صورة الحاكم المسلم والمكتوب عليها باللغة العربية: «سنغافورة» بل إن المسلمين الآن في سنغافورة أخذت العناصر غير المسلمة فيها تشعر بالرثاء لهذه الشريحة من المجتمع المحسوبة على سنغافورة والتي يفتك بها الفقر والجهل في المقام الاول فنبهت على سوء حال المسلمين هنالك من

(١) أنظر مثلا: حركة تحديد النسل ٦٣ لأبي الأعلى المودودي.

أجل مد يد المساعدة اليهم وانقاذهم! ولا زلت أذكر أحد الأدلة على هذا التخلف حينما التقيت في أحد شوارع سنغافورة في إحدي رحلاتي بشخص يبدو عليه ذل الفاقة فتعمدت أن أعرف حقيقته فعرفت أنه مسلم وأن اسمه ابراهيم. وبحيث إنك حينما تزور اليوم ماليزيا التي انفصلت عنها ولاية سنغافورة وكونت حكومة مستقلة تفاجأ بأن هذ البلاد التي كانت إسلامية يكاد يشكل المسلمون فيها نسبة خمسين في المائة لسببين اثنين جوهريين. السبب الأول هو أن الاستعمار غمر البلاد المسلمة بغير المسلمين وخاصة الصينيين الذين يمسكون بزمام الاقتصاد في ماليزيا ففي يدهم زهاء ثمانين في المائة من اقتصاد البلاد[١]. والسبب الآخرهو ان المسلمين قد انطلت عليهم وحدهم وللأسف خدعة تحديد النسل التي لم يلتزم بها الآخرون وبخاصة الصينيون الذين تناسلوا كالأرانب.

إني أضع الحقائق المستمدة من التجارب الشخصية كي نفطن نحن المسلمين لما يراد بنا قبل فوات الأوان وقد قال عز من قائل[٢]: ﴿**فاعتبروا ياأولي الأبصار**﴾.

وإنه في الوقت الذي يعلن فيه المغفلون بأن النمو الغذائي في الكرة الأرضية لا يتمشى مع الانفجار السكاني تقوم الولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين بحرق فائض القمح[٣] وتقوم

---

(١) هذه المعلومات مستقاة من أفواه المسؤولين والإحصائيات فإن الباحث حكم في مسابقة كوالالمبور العالمية للقرآن الكريم منذ عام ١٤٠٢هـ.
(٢) سورة الحشر ٢.
(٣) حركة تحديد النسل ١١٠.

البرازيل بتعبيد الأرصفة بفائض البن. وإن أعجب ماقرآت في إحدى الصحف في أثناء كتابة هذه السطور مما لا أكاد أصدق هو أن بعض الولايات الهندية تسكب في المحيط كميات هائلة من اللبن! وبشأن أستراليا، أصغر القارات وأكبر الجزر، والتي يسكنها حاليا زهاء ستة عشر مليون شخص منهم زهاء ثلاثمائة ألف مسلم[1] والتي قدر لي أن أسافر إليها مرات عدة ومنها سنة دراسية كاملة قضيتها استاذا زائرا بجامعة سدني قسم الدراسات السامية وذلك في السنة الدراسية ١٣٩٥/١٣٩٦هـ فإن الخبراء يقولون إنها تتسع بسهولة ويسر لمئات الملايين من السكان. وقد قدر لي في السنة التي قضيتها استاذا زائرا أن أعاصر فترة الكساد الاقتصادي العالمي وقد انعكس ذلك على تجارة اللحوم. ولأن مايحصل عليه التاجر ثمنا للخروف الواحد يوازي الثمن الذي يدفعه حتي يصل الخروف إلى الجهة التي توصله إلى المستهلك فقد تقرر قتل كل الحيوانات رميا بالرصاص إيثارا للراحة وضمانا لثبات الأسعار في الوقت الذي يموت فيه الملايين في انحاء المعمورة جوعا. وفي إحدى رحلاتي البرية بين سدني وملبرن في جنوب أستراليا تبينت أن مابين ثلاثمائة كيلو متر إلى أربعمائة كيلومتر بمحاذاة المحيط إلى الأعماق يعتمد المزارعون والرعاة على المطر وحده. وفي المزارع التي زرت تبينت أن المزارعين يكتفون من الفواكه التي يقطفون للاستهلاك والتجارة بأحسن الموجود على الشجرة ويتركون الباقي على الشجر حتي يسقط على الأرض بطبعه ويتحول سمادا!

---

(١) بناء على الاحصائيات الاخيرة.

والمعروف أن ١٠٪ فقط من مجموع المساحة الأرضية هو المزروع مع أن ٧٠٪ منها صالح للزراعة، أي من الممكن أن يزرع ٦٠٪ منها بعد[1] يضاف إلى ذلك أن الإنسان لو استغل أرضه بالمهارة التي يستغلها الفلاح الهولندي لأصبح إنتاجه الزراعي من المساحة المزروعة وحدها حاليا يكفي لعشرة أضعاف العدد الحالي لسكان العالم، بحيث يعيشون جميعا على مستوى يوازي المستوى المرتفع في غرب آوربا[2].

إن المشكلة الحقيقية تكمن في كون الإنسان المتحضر ماديا اليوم والذي بيده دفه الحضارة المادية ومقاليدها انسانا غير موصول بالله تعالى وعبدا للدينار والدرهم وحدهما، ولا يبالي في سبيل هذه الغاية الخسيسة أن يتخذ أي وسيلة بما في ذلك إزهاق الأرواح وقتل النفس التي حرم الله تعالى قتلها إلا بالحق. وأود أن أذكر في هذا الصدد بعض مارأيت وسمعت وقرأت لأستراليين. في أحد المؤتمرات الثقافية التي عقدت في مدينة هوبارت في جزيرة تسمانيا في جنوب قارة استراليا قام احد الإخوة المشاركين معنا في المؤتمر وألقى سؤالا غاية في الأهمية وهو أين السكان الأصليون الذين كانوا يسكنون جزيرة تسمانيا والذين لا يوجد منهم الآن شخص واحد؟ لقد كان الجواب بأن الشخص الأبيض قد أبادهم عن بكرة أبيهم. ومما قيل في المؤتمر إن الشخص الأبيض كي يتخلص من البقية الباقية من السكان كان يزود السكان الأصليين بالأغطية التي

(١) حركة تحديد النسل ١١٠.
(٢) نفسه ١٢١.

ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. إن ظاهرها أنها تقي السكان الأصليين أذى البرد والقر وإن باطنها محشو بجرثومة الجدري الذي فتك بالبقية الباقية من السكان الأصليين. وإنما تعمدت استعمال القول: «البقية الباقية من السكان الأصليين» لأن الحكومة وقت العمل على إبادة السكان الأصليين كانت تدفع مكافأة لمن يقتل أولئك السكان الأصليين. وحينما كنت استاذا زائرا بجامعة سدني حَوَّلت ماكان يدفع للقاتل مكافأة على قتله واحدا من سكان استراليا الأصليين، وكان سعر الدولار الأسترالي آنذاك أربعة ريالات سعودية، فكانت المكافأة مقابل قتل كل برئ من السكان الأصليين زهاء مائة ريال سعودي. ولا يكاد ينقضي عجبك حينما تعلم أنه في ذلك العام الذي درست فيه فى جامعة سدني سمح لأول شخص من سكان أستراليا الأصليين بأن يلتحق بالجامعة!

ولعلك تقول إنك تشاهد دائما على التلفاز مناظر لسكان أستراليا الأصليين الأبروجينيين الذين لا يزالون أحياء يرزقون، وهذا صحيح لأن الرجل الأبيض أراد أن يحتفظ بعينات من هؤلاء السكان فيما يشبه المستعمرات أو الحظائر أو المتاحف البشرية من أجل التنويه بالحضارة المادية المزدهرة التي أقامها هنالك الإنسان الأبيض لأن أكبر مبرر في نظر الرجل الأبيض لما فعل بأولئك ويفعل هو المقارنة بين حال السكان الأصليين وبين حضارة الرجل الابيض.

وما الذي يفعله الرجل الأبيض حاليا بسكان هذه المتاحف البشرية؟ من المعروف أن في أستراليا نظاما رفيع المستوى من

الضمان الاجتماعي بحيث إن المضطر لعدم العمل تعطيه الدولة أسبوعيا مبلغا من المال يغنيه عن ذل السؤال، وذلك في مقابل الضرائب الباهظة التي تأخذها من الأغنياء. وقد آريد لسكان أستراليا الأصليين أن يكونوا عاطلين عاجزين عن العمل مستحقين للضمان الاجتماعي! وما الذي يفعله أولئك البسطاء بالضمان الاجتماعي؟ إنهم ينفقونه في السكر والعربدة! وقبل أن يحصل العاطل على الضمان الاجتماعي يكون عليه لتاجر الخمر ديون أكثر مما يحصل عليه من الضمان الاجتماعي كله! وهنا تفتح شياطين الإنس والجن لهم أبواب الشرور والموبقات. وهكذا لا يكاد سكان أستراليا الأصليون يفيقون من السكر كي يفكروا جيدا في حالهم ومآلهم ومايراد بهم.

لقد أخبرني الأستاذ الفاضل الدكتور إشفاق أحمد، وهو بحمد الله تعالى من أكثر رجال الدعوة الإسلامية في مدينة سدني وأكثرهم نشاطاً، بل في قارة أستراليا، بأنه التقى ببعض هؤلاء السكان الأصليين الذين ذكروا له الكلام الذي كتبته في الأسطر السابقة، وأفادني بأنهم شكوا اليه حالهم والدموع تنهمر من عيونهم انهمارا، وهم بحاجة إلى من ينتشلهم من وهدتهم وينقذهم من ورطتهم وليس لهؤلاء سوى رجال الدعوة الاسلامية الذين يطيب لنا أن نواصل تذكيرهم بحال هؤلاء السكان الأصليين وأمثالهم من الذين قتل الرجل الأبيض رجالهم، وهتك أعراض نسائهم، واستولى على ممتلكاتهم. إن هؤلاء وأمثالهم مجال خصب للدعوة الاسلامية. واكتفي بهذه الايماءة.

وما لنا نذهب بعيدا إلى قارة أستراليا ونحن امام مأساة من أكبر مآسي الشعوب الإسلامية والإنسانية وهي مأساة شعب البوسنة والهرسك المسلم. إن تصميم الخصوم على إبادة هذا الشعب لأنه شعب مسلم في أوربا، ولا يراد وجود أي دويلة إسلامية في أوربا وفي غير أوربا. وأذكر بهذه المناسبة ملاحظة مهمة في هذا الشأن أعلنها في أحد المؤتمرات الثقافية الإسلامية التي عقدت في أمريكا الأمريكي المهتدي الأستاذ الدكتور توماس ايرفنج والذي تسمى بالحاج تعليم علي وصاحب ترجمة معاني القرآن الكريم التي طبعت في الأردن عام ١٩٩٢م. إن هذه الملاحظة تقول: إن الغرب بعد أن نجح في وضع السدود في طريق المد الإسلامي إلى اوربا عن طريق تشويه صورة الإسلام نقل تلك السدود أخيرا إلى العالم الجديد في أمريكا وأستراليا وما إليهما. إن الاجتهاد في الإجهاز على شعب البوسنة والهرسك المسلم تطبيق عملي لحقد اوربا والغرب المسيحي على الاسلام والمسلمين.

وإن هذه مناسبة طيبة لتكرار التذكار بتحذير المؤلف الألماني باول شمتز الغرب في كتابه الخطير الشأن: الإسلام قوة الغد العالمية[١] في الباب الرابع من الكتاب بعنوان: أسس القوة النامية في العالم الاسلامي، بالتحذير من سبب من أهم هذه الأسباب وهو الزيادة المطردة في عدد سكان العالم الإسلامي وخاصة الشباب. إن الاحصاءات التي قام بها الغرب لبعض الدول العربية والاسلامية

---

(١) نقلة إلى العربية الدكتور محمد شامه الناشر مكتبة وهبة القاهر.

أثبتت أن المسلم أخصب جنسيا دائما حتي في حال المقارنة بين المسلم وغير المسلم في البلد الواحد. وقد أظهرت الإحصائيات أن مصر تتقدم العالم الإسلامي في هذا المجال[١] تليها تركيا[٢] وأظهرت الإحصائيات أن الخصوبة البشرية لدى العرب أكبر من الخصوبة لدى اليهود بمرتين ونصف[٣] وأن الخصوبة البشرية لدى الجزائريين تفوق غير المسلمين في الجزائر بأربع مرات تقريبا[٤]: «وتوصل الباحثون إلى نتيجة تدعو إلى التفكير والتأمل. فقد أثبتوا ـ بناء على أرقام توصلوا إليها في عام ١٩٣١م أن بين كل ٣,٣١ من البالغين في أوربا يوجد شاب واحد تحت الخامسة عشرة.

أما في مصر وتركيا وإيران فقد أثبت الإحصاء الذي جرى في نفس العام أن فيها شابا تحت الخامسة عشرة بين كل ١,٣٨ من البالغين. وطبقا لهذه النتيجة التي تبين اختلاف نسبة الاطفال إلى البالغين بين أوربا والعالم الإسلامي أمكن للمرء أن يتنبأ بأن تفوق الإنتاج البشري في المنطقة الاسلامية سوف يؤثر تأثيرا بالغا على العلاقة بين الشرق والغرب في عشرات السنين القادمة»[٥].

إن على المسلمين أن يقدروا هذه النعم حق قدرها وأن يقوموا بما يجب عليهم من شكر لله تعالى عليها. ومن أهم مظاهر الشكر لله تعالى أن يستمروا متحلين بثوب العفة رجالا ونساء لأن أهم سبب

---

(١) الاسلام قوة الغد العالمية ١٨٤.
(٢) نفسه ١٨٥.
(٣) نفسه ١٨٦.
(٤) نفسه ١٨٦.
(٥) نفسه ١٨٧.

وراء هذه النعمة التي يرفلون فيها، نعمة الذرية والخصوبة الجنسية، هو الاستمساك بتعاليم الإسلام وفي مقدمة هذه التعاليم عفاف الجنسين وطهره. وإن على المسلمين أن يعتبروا بما حل بالأمم الأخرى التي ابتعدت عن تعاليم الله وبما يحل بها. ومن أدق المؤشرات الدالة على فقدان الغرب - وكذلك الشرق البعيد عن تعاليم الله - حيويته ونشاطه تدريجا استمرار دول الغرب منذ مطلع القرن العشرين في تخفيض الشروط المطلوب توافرها في المنخرطين في سلك الجندية[١] وعن الأمراض الجنسية وتفكك الأسر حدث ولا حرج.

والحقيقة أن الكلام الذي يمكن أن يقال بين حظ المسلمين الموفور من الذرية وحظ غيرهم المبخوس كثير. ويحسن الاكتفاء هنا بهذه الايماءات. وإن كان لابد من شئ يقال في هذا الشأن أخيرا في سبيل صيانة النسل وحماية الذرية فهو الشئ الذي ينبغى أن يقال عن السياحة وعن وجوب تعاون المسلمين على البر والتقوى والعمل على جعل سياحة المسلمين في حدود العالم الاسلامي وجعل السياحة إسلامية حقا وحماية هذه السياحة الإسلامية من سائر المنغصات، بما في ذلك الجشع والسُّعار الماديان[٢].

---

(١) أنظر مثلا الحجاب ٩٠ لأبي الأعلى المودودي.

(٢) اسهاما من الباحث في هذا الميدان من أجل حماية الأسرة المسلمة قام بدراسة عنوانها: «جمهورية المالديف. المنتجع والمصيف» وقد رفع معالي الأمين العام السابق لرابطة العالم الاسلامي د. عبدالله عمر نصيف الدراسة في ٢٧/ ١/ ١٤١٤هـ لفخامة رئيس جمهورية المالديف الأستاذ مأمون عبد القيوم.

ونختم هذه الكلمات بقول الحق جل وعلا[1]: ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ وقول الحق جل وعلا[2]: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**﴾ وقول الحق جل وعلا[3]: ﴿**والله جعل لكم من انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات. أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون**﴾ وقول الحق جل وعلا[4]: ﴿**يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم. والله عليم حكيم. والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما. يريد الله أن يخفف عنكم. وخلق الإنسان ضعيفا**﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: **(تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة)**[5].

(١) سورة النور ١٩.
(٢) سورة هود ٦.
(٣) سورة النحل ٧٢.
(٤) سورة النساء ٢٦ ـ ٢٨.
(٥) فقه السنة ٢/ ١١ وفتح الباري ٩/ ١١١ وقال: «أخرجه ابن حبان».

(٤)

بعض الوسائل لحماية الذرية

(أ) تحريم الزواج بالمشركة والمشرك وتفضيل الأمة والعبد المؤمنين:

لدين الأسلام وسائله المتعددة في حماية الذرية. ومن هذه الوسائل التحريم على التأبيد زواج المسلم بالمشركة وزواج المسلمة بالمشرك. قال تعالى[1]: ﴿**ولا تنكحوا المشركات حتي يؤمن. ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم. ولا تنكحوا المشركين حتي يؤمنوا. ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم. أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون**﴾ وكما يبدو من أسباب النزول[2] ويفهم من الآية الكريمة أنَّ رب العزة ينهانا في محكم كتابه عن نكاح المشركات حتي يؤمن. ومع أن الآية الكريمة نزلت أساسا في مشركات العرب فإن العبرة كما هو مفهوم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتحريم نكاح المؤمن بالمشركة والمؤمنة بالمشرك على التأبيد مفهوم من عموم لفظ الآية. وإنما يجوز النكاح حينما يترك المشرك أو المشركة الشرك ويعتنقان الاسلام. وتفضل الآية الكريمة الأمة المؤمنة المملوكة الدميمة على الحرة المشركة الجميلة، كما تفضل العبد المؤمن المملوك الدميم على الحر المشرك الجميل. إن الإسلام لا يبخس الجمال حقه. وفي الآية الكريمة الإيماء إلى قيمة الجمال في قوله تعالى: **(ولو اعجبتكم)** ولكن ماقيمة جمال

---

(١) سورة البقرة ٢٢١.

(٢) أنظر هنا تفسير الطبري ٢/ ٢٢٣ وتفسير ابن كثير ١/ ٢٥٨ وتفسير القرطبي ٨٧٥ ـ ٨٧٧ والبحر المحيط ٢/ ١٦٣ والكشاف ١/ ٢٧٣ وأسباب النزول ١٠٤.

الظاهر أو جمال الخَلْق إلى جمال الباطن أو جمال الْخُلُق. إن جمال الظاهر أو جمال الْخَلْق، مع الشرك، في حكم المعدوم. وتعين الآية الكريمة علة المنع: ﴿**أولئك يدعون الى النار**﴾ إن خطورة زواج المشرك بالمسلمة لا تحتاج إلى تفيكر. وبشأن زواج المسلم من المشركة فيه من الخطر مافيه لانجذاب المشركة بطبعها إلى متعلقات الشرك فهي تدعو زوجها بطريق مباشر أو غير مباشر إلى النار وبئس القرار، أما الذرية فإن الخطر المباشر عليهم من المشركة لا يخفى على من لديه أدني مسكة وبقية من عقل.

وهكذا يتبين بنص الآية الكريمة أن الإعجاب بالجمال لا وزن له مع الشرك وأن الجمال في هذه الحال تفضل عليه الدمامة مع الإيمان، لأن المؤمن والمؤمنة ينفذان أمر الله تعالى بالدعوة إلى الجنة ولأن المشركين يدعوان إلى النار والعياذ بالله.

وكما حرم الله تعالى نكاح المشركين حماية للذرية في المقام الأول من هذا الذنب الذي لا يغفره الله تعالى لمن مات مشركا وضع ضوابط لمن اضطر فتزوج الأمة المؤمنة او الكتابية، اليهودية أو النصرانية.

وبشأن الزواج من الأمة، مع أنه لا يوجد الآن في ديار الإسلام أمة واحدة ولا عبد واحد لأن الإسلام شرع للعتق ولم يشرع للرق الذي كان وقت نزول القرآن الكريم قانونا عالميا لذا لم يحرمه الإسلام على الفور كالربا والخمر لأن الأعداء كانوا يسترقون أسرى

المسلمين[1] ، ونود أن ندون الآية الكريمة التي اشتملت على ضوابط الزواج من الأمة. قال تعالى[2]: ﴿**ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات. والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض. فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان. فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب. ذلك لمن خشي العنت منكم. وأن تصبروا خير لكم. والله غفور رحيم**﴾.

وتتضح ضوابط الزواج من الأمة من ذكر معنى الآية الكريمة. إن من لم يستطع منكم أيها المؤمنون طولا وفضلا ومالا[3] أن ينكح المحصنات الحرائر العفائف[4] المؤمنات فإن ثمة أن تتزوجوا مما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات وإمائكم المسلمات والله تعالى أعلم بحقيقة إيمانكم فاكتفوا بالظاهر وكلوا السرائر إليه جل وعلا. والله تعالى جعل بعضكم من بعض فأبواكم جميعا آدم وحواء عليهما السلام. فتزوجوهن[5] بإذن أهلهن وأربابهن[6] وأعطوهن مهورهن[7] بالمعروف وطيب نفس منكم[8] محصنات عفيفات[9]

---

(١) درسنا مسألة الرق تحت عنوان: معاملة الاسلام للأسرى في: تأملات في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٥٧ ـ ١٠٢ الطبعة الثانية وفي رسالة المسجد العدد الرابع السنة الرابعة ربيع الأول ١٤٠١هـ يناير ١٩٨١م.

(٢) سورة النساء ٢٥.

(٣) تفسير الطبري ٥/ ١٠ وانظر مفردات الراغب الأصفهاني: طول ٣١٢.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٤٧٥.

(٥) تفسير الطبري ٥/ ١٣.

(٦) المرجع السابق ٥/ ١٣.

(٧) المرجع السابق ٥/ ١٣.

(٨) تفسير ابن كثير ١/ ٤٧٥.

(٩) تفسير الطبري ٥/ ١٣.

غير مسافحات أي زوان معلنات لا يمنعن أحدا أرادهن بالفاحشة[1] وغير زوان متخذات أخذان، قال ابن عباس: يعنى أخلاء[2] يزنون بهن سرا[3] قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ماظهر من الزنا ويستحلون ماخفي يقولون: أما ماظهر منه فهو لؤم. وأما ماخفي فلا بأس بذلك[4] فإذا أحصن وتزوجن فصرن ممنوعات الفروج من الحرم بالأزواج[5] فإن أتين بفاحشة الزنا[6] فعليهن نصف ماعلى المحصنات الحرائر الأبكار إذا زنين[7] من العذاب والحد[8] ومذهب الجمهور أن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة سواء كانت مسلمة أو كافرة، مزوجة أو بكرا[9] إن ذلك الإذن بزواج الأمة لمن خشي العنت منكم أيها المؤمنون وخاف الزنا[10] وأن تصبروا أيها المؤمنون عن نكاح الإماء[11] حتي يغنيكم الله تعالى من فضله خير لكم لأنه إذا تزوجها جاء أولاده أرقاء لسيدها[12] هذا إلى أن الأمة ستكون بين زوجها وبين سيدها. والله غفور لمن أذنب وتاب وعمل صالحا رحيم حينما خفف عنكم وأرشدكم إلى معالم دينكم.

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٧٥ وتفسير الطبري ٥/ ١٤ .
(٢) المرجع السابق ١/ ٤٧٥ .
(٣) الجلالين.
(٤) تفسير الطبري ٥/ ١٤ .
(٥) تفسير الطبري ٥/ ١٤ وتفسير ابن كثير ١/ ٤٧٦ .
(٦) تفسير الطبري ٥/ ١٦ .
(٧) الجلالين.
(٨) المرجع السابق.
(٩) تفسير ابن كثير ١/ ٤٧٦ .
(١٠) تفسير الطبري ٥/ ١٧ .
(١١) المرجع السابق ٥/ ٧.
(١٢) تفسير ابن كثير ١/ ٤٧٨ .

وإن من أهم الضوابط التي نود أن نقف عندها ماجاء في قوله تعالى: ﴿**محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان**﴾ والملاحظ أن الجمع في القرآن الكريم بين النهي عن السفاح واتخاذ الأخدان جاء في موضعين اثنين فقط، في هذا الموضع من آية سورة النساء، وفي الآية الكريمة من سورة المائدة التي تجعل النهي عن السفاح واتخاذ الأخدان من بين ضوابط الإذن للمسلم بالزواج من الكتابية. قال تعالى[1]: ﴿**اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان. ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾.

وإن من أهم الملاحظات على هذه الضوابط تكرار لفظ المحصنات في قوله تعالى: ﴿**والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾ إنَّ تكرار لفظ المحصنات رغم إمكان الاستغناء عنه، وهو في الموضعين بمعنى العفيفات، دليل على أهمية تحقق شرط العفة في الكتابية التي يريد المسلم أن يتزوجها، ومن أكبر الأدلة على ذلك أن الحديث عن المؤمنات إذا كان قد اكتفى بصفة الإحصان فإن الحديث عن الكتابيات طويل. فعلى المؤمن الذي يريد أن يتزوج الكتابية أن يعطيها مهرها، وأن يكون محصنا أي عفيفا[2] وألا يزني بها سفاحا علانية وجهرا،

---

(١) سورة المائدة ٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٢١.

وألا يخادنها ويفجر بها خفاء وسرا[١] إن النهي في القرآن الكريم في حيز واحد عن الزنا سفاحا والزنا خفاء جاء ملابسا للإذن بزواج المسلم الأمة مرة والكتابية أخرى. فعلى المسلم أن يعي ذلك جيدا.

(ب) الغاية من الزواج الذرية:

من الأدلة على حماية الإسلام للذرية والتشجيع على النسل وأن الهدف من الزواج الإنجاب أمر الأزواج في القرآن الكريم أن يأتوا زوجاتهم بعد طهرهن من الحيض من حيث أمرهم الله تعالى. قال تعالى[٢]: ﴿**ويسألونك عن المحيض قل هو أذي فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتي يطهرن. فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله. إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾ فأتوهن من حيث أمركم الله: أي فجامعوهن وهو أمر إباحة. وكنى بالإتيان عن الوطء[٣] وحيث: ظرف مكان. فالمعنى من الجهة التي أمر الله تعالى وهو القبل لأنه هو المنهي عنه في حال الحيض. قاله ابن عباس والربيع[٤] ويؤيد هذا المعنى ويؤكده الأمر بأن يقدم من أراد أن يأتي أهله لنفسه وذلك في الآية الكريمة التالية. قال تعالى[٥]: ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين**﴾ «يعني تعالى ذكره

---

(١) درسنا الآية الكريمة في تأملات في سورة المائدة ٧٧ ـ ٨٤ من مطبوعات نادي مكة المكرمة الثقافي الأدبي.

(٢) سورة البقرة ٢٢٢.

(٣) تفسير القرطبي ٨٩٨. طبعة الشعب القاهرة.

(٤) البحر المحيط ٢/ ١٦٩.

(٥) سورة البقرة ٢٢٣.

بذلك: نساؤكم مزدرع أولادكم فأتوا مزدرعكم كيف شئتم.. وإنما عنى بالحرث وهو الزرع المحترث والمزدرع، ولكنهن لما كن من أسباب الحرث جعلن حرثا إذ كان مفهوما معنى الكلام»[١] ففرج المرأة كالأرض، والنطفة كالبذر، والولد كالنبات، فالحرث بمعنى المحترث، ووحد الحرث لأنه مصدر كما يقال: رجل صوم وقوم صوم[٢] وقدموا لأنفسكم: الخير والصالح من الأعمال[٣] فحذف المفعول به، وقد صرح به في قوله تعالى: ﴿**وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله**﴾[٤] قال ابن عباس وعطاء: أي قدموا ذكر الله عند الجماع[٥] عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا، ثم قدر لهما في ذلك أو قضي ولد لم يضره شيطان أبدا[٦] وقال تعالى[٧]: ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم. هن لباس لكم وأنتم لباس لهن. علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم. فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم. وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتموا الصيام إلى الليل. ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد. تلك حدود الله**

(١) تفسير الطبري ٢/ ٢٣١.
(٢) المرجع السابق ٩٠١.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٣٧.
(٤) تفسير القرطبي ٩٠٤. طبعة الشعب القاهرة.
(٥) المصدر السابق ٩٠٤.
(٦) فتح الباري ٩/ ٢٢٨ رقم ٥١٦٥ وصحيح مسلم ١٠/ ٥.
(٧) سورة البقرة ١٨٧.

فلا تقربوها. كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ ومعنى «فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم» ففي ليلة الصيام جامعوهن إن شئتم واطلبوا ماقسم الله لكم من الولد بالمباشرة «أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ماوضع الله له النكاح من التناسل»[١].

ومن الأدلة على عناية الإسلام بالذرية وكون الهدف الأهم هو الإنجاب هذه الآية الكريمة من سورة النساء[٢]. قال تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف. فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**﴾.

عن ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبا كان أحق بها فنزلت[٣] فالآية الكريمة تقضى على إحدى عادات الجاهلية وتنهى الرجال أن يعضلوا الزوجات ويضاروهن في العشرة لتترك صداقها أو بعضه أو حقا من حقها آو شيئا من ذلك على وجه القهر لها والاضرار[٤] إلا أن يأتين بفاحشة مبينة كالزنا والعصيان والنشوز وبذاء اللسان وغير ذلك[٥] فإن كرهتموهن لدمامة أو سوء خلق من غير ارتكاب فاحشة أو

(١) الكشاف ١/ ٢٥٧ والبحر المحيط ٢/ ٥٠.
(٢) الآية ١٩.
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٤٦٥.
(٤) المرجع السابق ١/ ٤٦٥.
(٥) المرجع السابق ١/ ٤٦٥.

نشوز، فهذا يندب فيه إلى الاحتمال، فعسى أن يئول الأمر إلى أن يرزق الله منها أولادا صالحين[1].

ج) العنايـــة بالجنين :

ومما له علاقة بعناية الإسلام بالذرية عنايته بالجنين وهو في رحم والدته. إن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها والمطلقة أن تضع حملها قال تعالى[2]: ﴿**واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن. وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن. ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا**﴾ لأولا ت الأحمال المطلقات والمتوفى عنهن النفقة حتى يضعن حملهن[3] فالنفقة روعي فيها الجنين في المقام الأول، وللوالدة أجرها على إرضاعها ولدها ممن طلقها . فان تعاسر الأب والأم وتضايقا في الإوضاع بأن امتنع الأب مثلا من الأجرة والأم من الإرضاع فسترضع للأب بإذن الله تعالى امرأة أخري، فقد تكفل الله سبحانه وتعالى برزق كل مخلوق، ولا تكره الأم على إرضاع الطفل. وفي هذه المعاني جاء قول الحق جل وعلا في سورة الطلاق[4]: ﴿**أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن . وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن**

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٦٦ .
(٢) سورة الطلاق ٤ .
(٣) أنظر مثلا فتح الباري ٩/ ٤٧٤ والجلالين وفقه السنة ٢/ ٢٨٧ نفقة المعتدة وتفسير القرطبي ٩١١ . طبعة الشعب القاهرة .
(٤) الآية ٦ ، ٧ .

حتى يضعن حملهن. فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف. وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى. لينفق ذو سعة من سعته. ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله. لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها. سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾.

د) العنايــة بالمولــود:

وبعد أن يرى المولود بنور الله تعالى نور الدنيا فالسنة أن يذبح عن الولد شاتان متقاربتان شبها وسنا وعن البنت شاة. والذبيحة التي تذبح عن المولود تسمى العقيقة[١] ومن السنة ان يختار للمولود اسم حسن ويحلق شعره ويتصدق بوزنه فضة إن تيسر ذلك[٢] ومن السنة أن يؤذن في أذن المولود اليمنى، ويقيم في الأذن اليسرى، ليكون اول مايطرق سمعه اسم الله[٣].

ولما كان المولود منذ أن يستهل صارخاً بحاجة إلى الغذاء فإن القرآن الكريم في إحدى آيات الأحكام يتحدث في عملية الرضاع قال عز من قائل[٤]: ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة. وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف. لا تكلف نفس إلا وسعها. لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده. وعلى الوارث مثل ذلك. فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما. وإن أردتم أن تسترضعوا**

(١) انظر فقه السنة ٣/ ٢٧٩ وفتح الباري ٩/ ٥٨٦ كتاب العقيقة.
(٢) فقه السنة ٣/ ٢٨٠.
(٣) المرجع السابق ٣/ ٢٨١.
(٤) سورة البقرة ٢٣٣.

اولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف. واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾[١].

ومعنى الآية الكريمة: والوالدات سواء كن زوجات أو مطلقات[٢] يرضعن أولادهن حولين كاملين وعامين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة. وجمهور الفقهاء على أنه يجوز الزيادة والنقصان إذا رأيا ذلك[٣] والقول: لمن أراد أن يتم الرضاعة. دليل على أن إرضاع الحولين ليس حتما، لأنه يجوز الفطام قبل الحولين، ولكنه تحديد لقطع التنازع بين الزوجين في مدة الرضاع، فلا يجب على الزوج إعطاء الأجرة لأكثر من حولين. وإذا أراد الأب الفطم قبل هذه المدة ولم ترض الأم لم يكن له ذلك. والزيادة على الحولين أو النقصان إنما يكون عند عدم الاضرار بالمولود وعند رضا الوالدين[٤]. وعلى والد الطفل وهو الأب[٥] رزقهن وما بدلهن من غذاء ومطعم[٦] وفي هذا دليل على وجوب نفقة الولد على الوالد لضعفه وعجزه. وسماه الله سبحانه للأم لأن الغذاء يصل إليه بواسطتها في الرضاع كما قال: ﴿**وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن**﴾ لأن الغذاء لا يصل إلا بسببها[٧] وعلى والد الطفل كذلك

---

(١) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة البقرة ١٣٤٤ ـ ١٣٦٥ كما درسناها تحت عنوان: من مظاهر إعجاز آية من آيات الأحكام. نشرت في مجلة المنهل ص ١٦ فما بعدها العدد ٥٠١ المجلد ٥٤ رجب ١٤١٣هـ يناير ١٩٩٣م.
(٢) البحر المحيط ٢/ ٢١١ وأنظر تفسير الطبري ٢/ ٣٠١ وتفسير القرطبي ٩٦٨.
(٣) البحر المحيط ٢/ ٢١٢.
(٤) تفسير القرطبي ٩٧٠.
(٥) تفسير الطبري ٢/ ٣٠٥ والجلالين.
(٦) تفسير الطبري ٢/ ٣٠٥ وتفسير القرطبي ٩٧١. طبعة الشعب القاهرة.
(٧) تفسير القرطبي ٩٧١. طبعة الشعب القاهرة.

كسوتهن. كل ذلك بالمعروف أي بالمتعارف في عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط[1] لا تكلف نفس إلا وسعها. والوسع من القدرة مايفضل عن قدر المكلف[2] «لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده» «لا يُنْزَعَنَّ ولدها منها وهي صحيحة لها لبن فيدفع إلى غيرها ﴿**ولا مولود له بولده**﴾ يعنى الزوج. يقول: إذا أرضعت صبيها وألفها وعرفها فلا تضارن الزوج في دفع ولده إليه»[3] أو تطلب أكثر من أجر مثلها[4] وعلى الوارث مثل ذلك: يقول أبو حيان[5] : «والظاهر في الوارث أنه وارث المولود له لعطفه عليه. ولأن المولود له وهو الأب هو المحدث عنه في جملة المعطوف عليه. والمعنى أنه إذا مات المولود له وجب على وارثه ماوجب عليه من رزق الوالدات وكسوتهن بالمعروف وتجنب الضرار. وروي هذا عن عمر والحسن وقتادة والسدي».

فإن أرادا: الضمير في أرادا للوالدين[6] فصالا: أي فطاما للطفل قبل الحولين ورآيا في ذلك مصلحة له[7] أي عن الاغتذاء بلبن أمه إلى غيره من الأقوات[8] فلابد من تراضيهما. فلو رضي احدهما وأبى الآخر لم يجبر. قاله مجاهد وقتادة والزهري والسدي وابن زيد وسفيان وغيرهم. وقيل الفطام سواء كان في

---

(١) تفسير القرطبي ٩٧١. طبعة الشعب القاهرة.
(٢) مفردات الراغب الاصفهاني: «وسع» ٥٢٣.
(٣) معاني القرآن للفراء ١/ ١٥٠.
(٤) تفسير القرطبي ٩٧٥ وقد ذكر رأي جمهور المفسرين. وانظر الكشاف ١/ ٢٨١ وتفسير ابن كثير ١/ ٢٨٤
(٥) البحر المحيط ٢/ ٢١٦.
(٦) تفسير القرطبي ٩٧٩.
(٧) تفسير ابن كثير ١/ ٢٨٤.
(٨) تفسير القرطبي ٩٧٩. طبعة الشعب القاهرة.

الحولين أو بعد الحولين. قاله ابن عباس[1] ويحتمل في تشاور أن يكون أحدهما شاور الآخر أو يكون أحدهما شاور غير الآخر لتجتمع الآراء على المصلحة في ذلك[2] فلا جناح عليهما: أي في فصله. وفي هذا دليل علي جواز الاجتهاد في الأحكام بإباحة الله تعالى للوالدين الشتاور فيما يؤدي إلى صلاح الصغير، وذلك موقوف على غالب ظنونهما لا على الحقيقة واليقين[3] وإن آردتم أن تسترضعوا أجنبية لأولادكم[4] وأن تسترضعوا أولادكم مراضع غير امهاتهم[5] فاسترضعتم أو فعلتم ذلك فلا جناح عليكم في الاسترضاع[6] إذا سلمتم إليهن[7] ماأردتم ايتاءه لهن من الأجر[8] بالاجمال والاحسان وترك البخس فيما وجب للمراضع[9] واتقوا الله أيها الناس واعلموا أن الله بما تعملون بصير وسيجازيكم عليه يوم القيامة.

(هـ) الرضا بما قسم الله تعالى:

ومن وسائل الاسلام لاستقرار الأسرة وعمله على إدخال السعادة عليها بميلاد الطفل الجديد سواء أكان ذكرا أم أنثى، ولكون أحد الزوجين أو كليهما عقيما يقرر القرآن الكريم أن الله

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢١٧.
(٢) المرجع السابق ٢/ ٢١٨.
(٣) أنظر تفسير القرطبي ٩٧٩ و٩٨٠. طبعة الشعب القاهرة.
(٤) المرجع السابق ٩٨٠.
(٥) تفسير الطبري ٢/ ٣١٤.
(٦) البحر المحيط ٢/ ٢١٨.
(٧) الجلالين.
(٨) الجلالين والكشاف ١/ ٢٨٢ والبحر المحيط ٢١٩.
(٩) تفسير الطبري ١/ ٢١٦.

سبحانه وتعالى هو وحده لا شريك له الذي يفعل كل ذلك. ومن مقومات الإيمان الرضا بما قسم الله تعالى. جاء في سورة الشورى[1] قول الحق جل وعلا: **﴿لله ملك السماوات والأرض. يخلق مايشاء. يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما. إنه عليم قدير﴾** كما قضى الإسلام على عادة بعض عرب الجاهلية في بغض البنات وجراءة بعضهم على وأد الأولاد ودفنهم أحياء خوف الفقر المتوهم مستقبلا أو الحاصل فعلا وخوف العار في حق البنات على جهة الخصوص. جاء في حق شعور أهل الجاهلية تجاه الذرية من البنات قول الحق جل وعلا[2]: **﴿وإذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء مابشر به. أيمسكه على هون أم يدسه في التراب. ألا ساء مايحكمون﴾** وقول الحق جل وعلا[3]: **﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾** وفي النهي عن قتل الأولاد بسبب الفقر الحاصل العاجل كما يفعل أهل الجاهلية جاء قول الحق جل وعلا[4]: **﴿قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق. ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾**[5].

---

(١) الآية ٤٩ و٥٠.
(٢) سورة النحل ٤٨ و٤٩.
(٣) سورة الزخرف ١٧.
(٤) سورة الأنعام ١٥١.
(٥) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة الأنعام ٤٨٧ ـ ٤٩٥ (مخطوط).

وفي النهي عن قتل الأولاد بسبب الفقر المتوهم الآجل جاء قول الحق جل وعلا[1]: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم. إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾** «والسبب في اختلاف ترتيب الضمائر في الآيتين الكريمتين هو أن آية الإسراء لا تتحدث عن فقر واقع بالفعل وإنما تتحدث عن فقر متوهم من قبل الذين يئدون البنات ومتوقع حسب اعتقادهم الخاطئ. قال تعالى مشيرا إلى ذلك: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾**. فالأولاد عند هؤلاء هم سبب خشيتهم من الفقر فاقتضى الأمر بناء على ذلك أن يكون هناك تطمين من هذا الجانب أولا وإزالة لهذا السبب المتوهم منه الفقر، فتقدمت الإشارة أولا إلى الحقيقة القائمة من أن الله عز وجل متكفل برزق هؤلاء الأولاد. تلا ذلك الاشارة إلى أنه عز وجل متكفل برزق الآباء أيضا، فلا داعي مطلقا للخوف من الفقر ولا موجب لعملية الوأد أساسا: **﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾**.

أما آية الأنعام فإنها تنص على الفقر الموجود بالفعل. قال تعالي: **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾** فهذه الفئة الباغية بسبب الفقر الذي هي فيه عمدت إلى وأد البنات، ظنا منها أنها حينما تتخلص منهن فستنقشع عنها غمة الإملاق. فاقتضى دفع هذا الوهم إرشاد هذه الفئة الباغية إلى أن الرزق بيد الله تعالى. وأنهم مجرمون في حق بناتهم اللاتي وُئدن، فالله عز وجل الذي قدر عليهم الرزق هو المتكفل برزقهم ورَزق بناتهم. فليس للبنات علاقة مطلقا بالإملاق الموجود فعلا بدونهن، فهذه هي إرادة الله

(١) سورة الإسراء ٣١.

وحكمته. قال تعالى: ﴿**نحن نرزقكم وإياهم**﴾ فلا ذنب للبنات مطلقا حتي يوءدن ويدفن وهن على قيد الحياة في التراب[1] وإلى عملية الوأد الفعلية أشار قوله تعالى[2]: ﴿**وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت**﴾.

و) البيئة الصالحة التقية:

ومن الآيات الكريمات التي تشيع جو الصلاح في الأسرة كي تجني الذرية ثمرة ذلك الصلاح بإذن الله تعالى قول الحق جل وعلا[3]: ﴿**وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك. وما فعلته عن امري. ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا**﴾ إن الغلامين حفظهما الله تعالى بصلاح والدهما في انفسهما ومالهما. وقول الحق جل وعلا[4]: ﴿**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا. ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**﴾ وقول الحق جل وعلا[5]: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء. كل امرئ بما كسب رهين**﴾. إن الله سبحانه، فضلا منه جل وعلا ومنة، يرفع يوم

---

(١) تأملات في سورة الإسراء للمؤلف ١٣٢.
(٢) سورة التكوير ٨ و٩.
(٣) سورة الكهف ٨٢.
(٤) سورة النساء ٩ و١٠.
(٥) سورة الطور ٢١.

القيامة مرتبة الذرية إلى مرتبة الآباء في الصلاح والثواب دون أن ينقص من ثواب الآباء شئ. وقول الحق جل وعلا[1]: **﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار. جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**[2].

ومن الآيات الكريمات التي أرشدت إلى إصلاح ذات البين وإلى العمل على رفع الظلم عن الذرية هذه الآية الكريمة من سورة البقرة[3] قال تعالى: **﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه. إن الله غفور رحيم﴾**[4] إن الآية الكريمة تنفي الإثم عمن أعاد الوصية عن الباطل إلى الحق فتقرر أن من خاف من موص جنفا، أي جورا وميلا عن الحق بطريق الخطأ وحسن النية، أو إثما، أي تعمدا للحيف والظلم في وصيته كأن يوصي لغني أو يوصي بأكثر من الثلث، فأصلح بين الموصي والورثة والموصى له بأن بين حكم الله تعالى في الوصية وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم فلا إثم عليه. إن الله سبحانه وتعالى غفور لمن تاب رحيم حينما أرشد إلى معالم دينه وإلى باب التوبة المفتوح على مصراعيه حتي تطلع الشمس من مغربها.

---

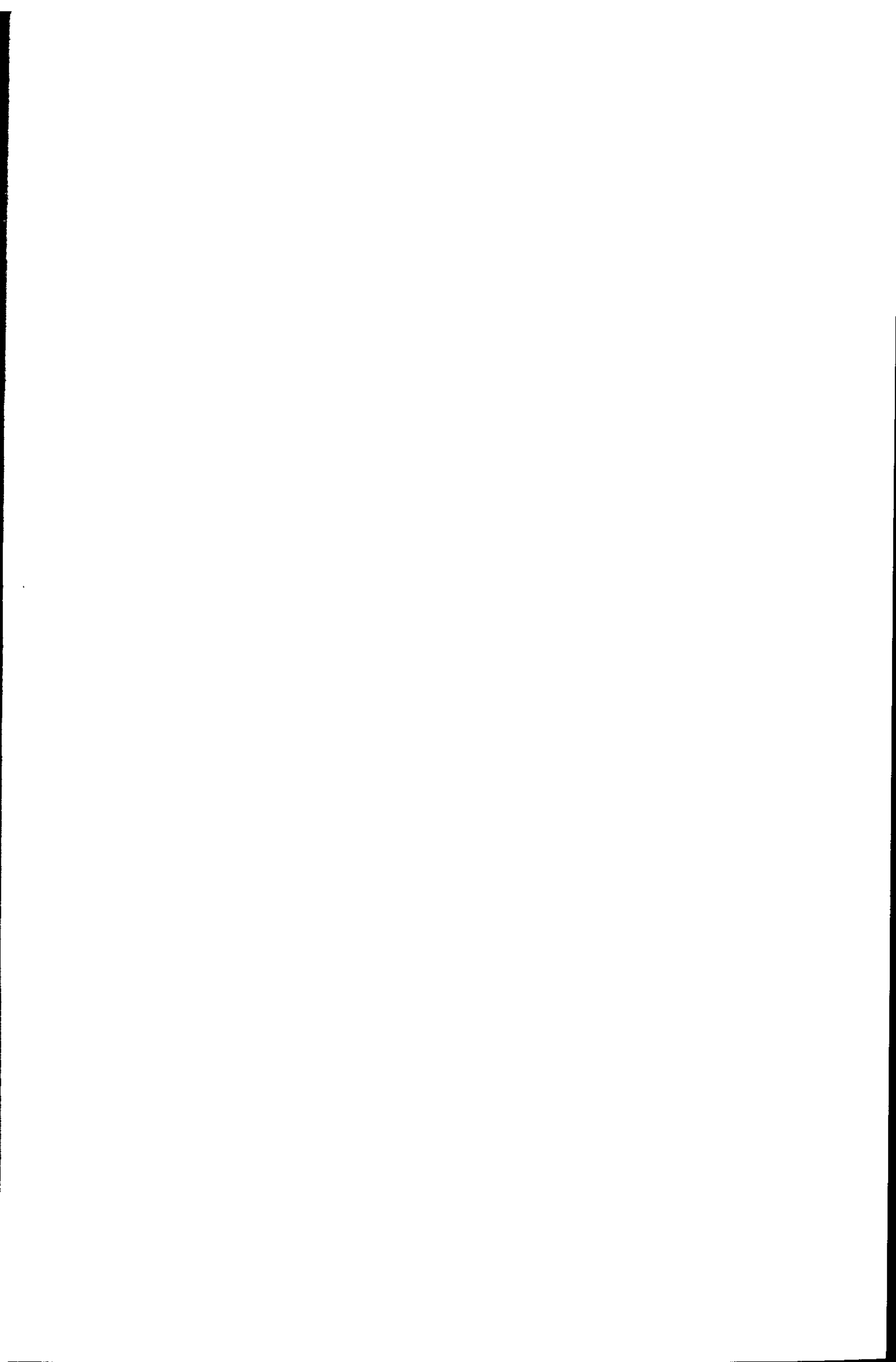
(١) سورة الرعد ٢٢ ـ ٢٤.
(٢) درسنا الآيات الكريمات في: تأملات في سورة الرعد ١٥٠ ـ ١٥٩.
(٣) الآية ١٨٢.
(٤) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة البقرة ٩٩٥ ـ ٩٩٧.

ولا يستطيع الدارس للقرآن الكريم من زاوية الأسرة المسلمة إلا أن يقف بإكبار وخشوع أمام الوصية الوحيدة في القرآن الكريم للآباء بأن يكونوا عادلين ومنصفين بين أولادهم في مجال الميراث والمال. لقد جاءت هذه الوصية الوحيدة للآباء في قول الحق جل وعلا في سورة النساء[1]: **﴿يوصيكم الله في أولادكم. للذكر مثل حظ الأنثيين﴾**[2].

(١) الآية ١١.
(٢) درسنا الآية الكريمة في تأملات في سورة النساء ٥٩ ـ ٦٦ (مخطوط).

(٥)

حماية عفاف الأسرة المسلمة



إن مظاهر الحماية لعفاف الأسرة المسلمة في القرآن الكريم وفي سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم كثيرة. وسنحاول أن نسير مع بعض هذه المظاهر الواحدة تلو الأخرى، وهي على النحو التالي:

(أ) لباس الجلال والجمال والكمال:

من مظاهر الحماية لعفاف الأسرة المسلمة الحديث في آية كريمة واحدة من القرآن الكريم عن إنزال الله تعالى على بني آدم نوعين من اللباس، لباس الجلال والوقار الذي يواري السوءات، ولباس الجمال والزينة الذي يتجمل به الإنسان ويتزين، وقد ضمت الآية الكريمة إلى هذين النوعين من اللباس الحسي لباسا آخر معنويا خيرا من اللباسين السابقين، وهذا النوع الثالث هو لباس التقوى. قال تعالى[1]: **﴿يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا. ولباس التقوى ذلك خير. ذلك من آيات الله لعلهم يذّكرون﴾** إن رب العزة يخاطب بني آدم ويمن عليهم بأنه جل وعلا قد أنزل عليهم لباسا يغطي سوءاتهم وعوراتهم والأجزاء الخاصة من الانسان الذي يسؤوه انكشافها، وأنزل عليهم لباسا يتزينون به استعير له لفظ الريش. والرياش والريش واحد وهو ماظهر من اللباس[2] وريش الطائر معروف. وقد يخص الجناح من بين سائره ولكون الريش للطائر كالثياب للإنسان استعير للثياب. قال تعالى: **﴿وريشا. ولباس التقوى﴾**[3] ولما كان جمال ريش الطائر من أهم

(١) سورة الأعراف ٢٦.
(٢) صحيح البخاري ٦/ ٧٣.
(٣) مفردات الراغب الأصفهاني: «ريش» ٢٠٧.

ملامحه، بل إن جمال هذا الريش يكاد يكون جل جمال الطائر كالطاؤوس مثلا فإن استعارة لفظ الريش للنوع الآخر من اللباس دليل على أن المراد ثياب الجمال والزينة، ودليل على عناية الإسلام بالجمال وعدم إغفاله أو إهماله لصفة الجمال وإنما يعطيها القدر الذي تستحق من العناية أو الاهتمام والذي يتأخر عن قدر العناية بكل من الحق والخير. وفي الكلام بلاغة بالحذف، والتقدير: يابني آدم قد أنزلنا عليكم من السماء ماء مما يشرب الناس والأنعام والنبات، فيحيا الناس والأنعام والنبات، ويحصل الناس من أصواف الضأن، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، ومن القطن والكتان وما إليهما مما يمكن الحصول عليه عن طريق النبات، يحصل الناس على أنواع لباس الوقار والجلال والاحتشام، وأنواع لباس الزينة والجمال والرياش.

على ان ثمة لباسا آخر معنويا خيرا من اللباسين السابقين، وهذا اللباس هو لباس التقوى والكمال. وبهذا يتصف من ارتدى هذه الأنواع الثلاثة من اللباس بالثلاث الصفات من الجلال والجمال والكمال. إن لباس ستر العورات جلال، وإن لباس الزينة جمال. وإن لباس التقوى كمال. إن كلا من لباس الباطن ولباس الظاهر من آيات الله تعالى لعلنا نتذكر ونتعظ وإن لباس التقوى، وهي الوجه الآخر من الإحسان خير من اللباسين السابقين. والإحسان كما بين معناه المصطفى صلى الله عليه وسلم: هو أن تعبد الله

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1] يقول ابن كثير[2]: (فاللباس ستر العورات وهي السوءات، والرياش والريش مايتجمل به ظاهرا، فالأول من الضروريات والريش من التكملات والزيادات) وإن الآية الكريمة في بلاغتها بالحذف تذكرنا بإنزال الله تعالى الأنعام في قول الحق جلا وعلا[3]: **﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث. ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾**.

وإن حديث الآية الكريمة عن اللباس يذكرنا بمثل هذه الآية الكريمة في تعداد نعم الله تعالى على بني آدم في سورة النحل[4]: **﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾**.

ومن الواضح أن لباس التقوى المعنوي أو الكمال يأتي فوق الرياش ولباس الزينة والجمال، وأن الرياش يأتي فوق اللباس الذي يواري السوءة أي لباس الوقار والجلال. إن ذلك يعني أن لباس التقوى أو الكمال يفترض وجود لباس ستر العورة ولباس الزينة أو الجمال، ففي الحديث الصحيح: إن الله جميل يحب الجمال[5]

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٠٧.
(٣) سورة الزمر ٦.
(٤) الآية ٨٠.
(٥) فقه السنة ٢/ ١٩.

كما يعنى أن نزع لباس ستر العورة معناه نزع آخر لباس للإنسان. فما الذي يحرص عليه الشيطان الرجيم الذي أعلن عداوته الصريحة لجنس الإنسان؟ إنه يحرص على نزع اللباس الذي يواري السوءة ويغطي العورة. وهاهي ذي الآية الكريمة من سورة الأعراف كذلك تحذرنا من هذا الهدف الرخيص للّعين، قال تعالى[1]: **﴿يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما. إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم. إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾**.

إن رب العزة ينهى بني آدم ان يفتنهم الشيطان الرجيم ويخدعهم[2] ويضلهم[3] فتنة كفتنة إخراج أبويهم من الجنة، آدم وحواء عليهما السلام. وماهي وسيلة فتنة الشيطان اللعين لبني آدم؟: «ينزع عنهما لباسهما» والمعروف أن النزع يرتبط به العنف والقوة في الجذب. جاء في نزع الملائكة أرواح الكافرين بقوة كما يغرق نازع القوس في النزع والجذب قول الحق جل وعلا[4]: **﴿والنازعات غرقا﴾**[5] إن اللعين من القباحة والوقاحة إلى الحد الذي يعمد معه مباشرة إلى نزع لباس كل من الجنسين. ولماذا ينزع اللعين بهذه الطريقة العنيفة الوقحة لباس كل من الجنسين وهو الذي

---

(١) سورة الأعراف ٢٧.
(٢) تفسير الطبري ٨/ ١١٢.
(٣) مفردات الراغب الاصفهاني: «فتن» ٣٧٢.
(٤) سورة النازعات ١.
(٥) أنظر مثلا تأملات في سورة النازعات للمؤلف ١٨ فما بعدها.

يرانا هو وذريته كما جاء في الآية الكريمة؟ الجواب في الآية الكريمة ذاتها: **«ليريهما سوءاتهما»** إن الهدف من نزع اللعين اللباس الداخلي لكل من الجنسين أن يرى كل من الجنسين عن طريق الحرام سوءة الآخر وعورته والعضو الخاص الذي يسوء الإنسان السوي انكشافه. إن اللعين هو وجنوده[1] يرون بني آدم من حيث لا يرونهم، وإن الذين يستجيبون لإغواء الشيطان الرجيم وإغرائه هم أولياؤه غير المؤمنين، أما المؤمنون فإن الله سبحانه وتعالى هو وليهم ومولاهم قال تعالى[2]: **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** وقال تعالى[3]: **﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾**.

وإن معني قوله تعالى: **﴿لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾** لا يفتننكم فتنة كفتنة إخراج أبويكم من الجنة[4] يحملنا على أن نقف على بعض الآيات الكريمات التي تتحدث عن فتنة الشيطان لأبوينا: آدم وحواء عليهما السلام وإخراجهما من الجنة. وإن أقرب الآيات الكريمات هي السابقات مباشرة. قال تعالى[5]: **﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا**

(١) الجلالين وأنظر مثلا تفسير الطبري ٨/ ١١٣.
(٢) سورة البقرة ٢٥٧.
(٣) سورة محمد ١١.
(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٤/ ٣١٦.
(٥) سورة الأعراف ١٩ ـ ٢٥.

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماووري عنهما من سوءاتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. فدلاهما بغرور. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾.

إن اللعين خدع أبوينا عليهما السلام وضللهما بأن زين لهما معصية الله تعالى بالأكل من الشجرة ليظهر لكل منهما سوأة الآخر وعورته ويخرجهما من الجنة. وإن اللعين الذي تعهد بإغواء جنس الإنسان إلا عباد الله تعالى المخلصين يزين للانسان معصية الله تعالى بعامة، في مجال علاقة الذكر بالأنثى والانثى بالذكر بخاصة، مما له علاقة بإبداء كل من الجنسين عورته للآخر عن طريق الحرام، لصرفهما عن الجنة إلى النار والعياذ بالله.

والحقيقة أن هذه الآيات الكريمات من سورة الأعراف على جهة الخصوص تبين أهم أسباب قيام الحضارات واستمرارها وهذا السبب هو العفاف والطهر. عفاف الرجال والنساء على السواء وطهرهم. إن كل الحضارات التي قامت ودامت أمدا طويلا كان حظها من العفاف كبيرا. وإن هذا السبب المهم في قيام الحضارات

نتبينه من ارتداء لباس كل من الجلال والجمال والكمال، أي ستر العورة، وأخذ لباس الزينة التي تليق بكل من الجنسين دون اسراف بما في ذلك أخذ لباس الزينة عند كل مسجد، وارتداء لباس التقوى بطاعة الرحمن الرحيم، وعصيان الشيطان الرجيم. كما نتبين هذا السبب المهم في قيام الحضارات في قول الحق جل وعلا عن آدم وحواء عليهما السلام في الآية الكريمة من سورة الأعراف[1] : **﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾** والمعنى أن آدم وحواء عليهما السلام لما بدت لهما سوآتهما وعوراتهما أقبلا وجعلا[2] وأخذا[3] يخصفان ويشدان[4] ويلزقان[5] عليهما من ورق الجنة. ومامعنى أن يشد الزوجان ويلزقا عليهما من ورق الجنة؟ معناه أنهما القمة في الحياء مع أنهما زوجان يفضي كل منهما إلى الآخر ويصل منه إلى فضائه وأعمق أعماقه ـ بإذن الله تعالى ـ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل دين خلقا. وخلق الإسلام الحياء[6] وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحى فاصنع ماشئت[7].

(١) الآية ٢٢.
(٢) تفسير الطبري ٨/ ١٠٥.
(٣) الجلالين.
(٤) تفسير الطبري ٨/ ١٠٥.
(٥) الجلالين.
(٦) سنن ابن ماجه ٢/ ١٣٩٩.
(٧) فتح الباري ١٠/ ٥٢٣ حديث رقم ٦١٢٠.

والحقيقة أن هذه الآيات الكريمات من سورة الأعراف تبين أهم أسباب انهيار الحضارات كلها وبدون استثناء، وهذا السبب هو الفجور والعهر. فجور الرجال والنساء وعهرهم على السواء. إن كل الحضارات التي انهارت كان حظ رجالها ونسائها من الاخلاق المنحطة كبيرا. وإن هذا السبب المهم في انهيار الحضارات نتبينه فيما جاء عن اللعين في قول الحق جل وعلا في سورة الأعراف[1]: **﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾** وفي قول الحق جل وعلا[2]: **﴿ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما﴾**.

وقد تبين من امتنان الله تعالى على عباده من إنزال الريش عليهم. بمعنى تسهيل الأسباب التي تجعل الإنسان في مقدوره أن يعمل الثياب الجميلة ويحصل عليها ويرتديها، تبين أن الإسلام الذي يقدم الحق والخير على الجمال، شأنه في ذلك شأن كل دين سماوي، لا يهمل جانب الجمال أو الزينة ونستطيع أن نقول عن الزينة في حق الرجال والنساء بأن المسموح منها هو ماكان مبقيا للرجل في دائرة الرجال وللمرأة في دائرة النساء، وذلك في ضوء الحديث النبوي الشريف الذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال[4] ويفهم عدم

(١) الآية ٢٠.
(٢) الآية ٢٧.
(٣) جاء بعد ذلك مباشرة: قال حجاج: لعن الله.
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/٥٦ حديث رقم ٣١٥١

الإسراف في الزينة لكل من الرجال والنساء على السواء لأن الإسلام دين الوسطية في كل شئ . إن الآية الكريمة من سورة الأعراف التي تأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد وتأمر بالأكل والشرب أمر إباحة تنهى عن الإسراف في الأكل والشرب، ومن باب الأحرى والأولى أن يكون عدم الإسراف منسحبا على الزينة، قال تعالى[1] : **﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا. إنه لا يحب المسرفين﴾** بل إن السورة الكريمة لتنكر في أسلوب الاستفهام على من حرم زينة الله تعالى لعباده والطيبات من الرزق وتقرر أن الزينة والطيبات هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا على جهة الاستحقاق وإن شاركهم فيها سواهم، وأنها خالصة للذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم القيامة. قال تعالى[2] : **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾.**

ب- العفاف، وعدم إبداء النساء زينتهن والحجاب:

إذا كانت الغاية البعيدة من الزواج الإنجاب والحصول على الذرية فإن غايته القريبة العفاف والإحصان. ومن هنا كان أمر القرآن الكريم أولي الأمر بإنكاح الأيامي، وهم من لا أزواج لهم

---

(١) سورة الأعراف ٣١ .

(٢) سورة الأعراف ٣٢ .

من الجنسين، قال تعالى[1]: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم. إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. والله واسع عليم**﴾ والأيامي جمع الأيم. وهي المرأة التي لا بعل لها، وقد قيل للرجل الذي لا زوج له، وذلك على طريق التشبيه بالمرأة فيمن لا غناء عنه لا على التحقيق[2] ومن البين عناية الآية الكريمة بالدين. فكما تفضل المرأة ذات الدين يفضل الرجل ذو الدين. وإن يكن الأزواج فقراء فسوف يغنيهم الله تعالى من واسع فضله. وبهذا تؤخر الآية الكريمة المال عن الدين. وقد بينت الأحاديث النبوية الشريفة هذه المعاني القرآنية السامية. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)[3] وفي رواية أخرى[4]: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد). قالوا يارسول الله: وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه. ثلاث مرات. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة حق على الله عونهم. المجاهد في سبيل الله. والمكاتب الذي يريد الأداء. والناكح الذي يريد العفاف[5] وعن عبدالله بن مسعود قال: كنا مع النبي صلى الله

---

(١) سورة النور ٣٢.
(٢) مفردات الراغب الاصفهاني: «أيم» ٣٢.
(٣) سنن الترمذي ٣/ ٣٩٤ حديث رقم ١٠٨٤.
(٤) المرجع السابق ٣/ ٣٩٥ حديث رقم ١٠٨٥.
(٥) سنن الترمذي ٤/ ١٥٧ رقم ١٦٥٥

عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا. فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يامعشر الشباب، من استطاع (منكم)[1] الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم. فإنه له وجاء[2] يخاطب المصطفى صلى الله عليه وسلم الشباب جمع الشاب وهو مابين السادسة عشرة إلى الثانية والثلاثين[3] قال النووي: اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أصحهما أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع. فتقديره من استطاع منكم الجماع لقدرته على مُؤَنه، وهي مؤن النكاح، فليتزوج. ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مُؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء. وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالبا. والقول الثاني أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح، سميت باسم مايلازمها وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم لدفع شهوته[4] قوله: فإنه: أي الصوم: له وجاء: بكسر الواو والمد، أصله الغمز، ومنه وجأة في عنقه إذا غمزه دافعا له، ووجأه بالسيف إذا طعنه به، ووجأ أنثييه غمزهما حتى رضهما[5] والأنثيان الخصيتان[6] وإذا كان الصوم من وسائل الاستعفاف بغض البصر وحفظ الفرج فإن

---

(١) زيادة في رواية الحديث رقم ٥٠٦٥ من فتح الباري ٩/ ١٠٦.
(٢) فتح الباري ٩/ ١١٢ حديث رقم ٥٠٦٦.
(٣) المرجع السابق ٩/ ١٠٨.
(٤) المرجع السابق ٩/ ١٠٨.
(٥) المرجع السابق ٩/ ١١٠.
(٦) القاموس: «أنث».

أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم الشاب غير القادر على الزواج بالصوم ذو علاقة بأمر الآية الكريمة من سورة النور[1] الذين لا يجدون نكاحا بالاستعفاف. قال تعالى: **﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله. والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا. وآتوهم من مال الله الذي آتاكم. ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا. ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾**.

والمؤمنون مأمورون بغض أبصارهم وبحفظ فروجهم. قال تعالى[2]: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم. إن الله خبير بما يصنعون﴾** عن علي قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تتبع النظر النظر، فإن الأولى لك، وليست لك الأخيرة[3] بمعنى أن النظرة الأولى غير المتعمدة لا يؤاخذ عليها الانسان ولكنه مؤاخذ على ماوراء ذلك. وفي تقديم الآية الكريمة الأمر بغض البصر وتأخير الأمر بحفظ الفرج دليل على أن النظر إلى الحرام يؤدي إلى ارتكاب جريمة الزنا ـ لا سمح الله ـ.

والمؤمنات مأمورات بغض أبصارهن وبحفظ فروجهن وبعدم إبداء زينتهن باستثناء الزينة الظاهرة، وبأن يضربن بخمرهن على

---

(١) الآية ٣٣.
(٢) سورة النور ٣٠.
(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل ٢/ ٣٥١ حديث رقم ١٣٦٩.

جيوبهن. وبشأن الزينة الباطنة عين الشارع الحكيم الفئات التي تبدي المرأة زينتها لهم ابتداء بالأزواج. قال تعالى[1]: **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء. ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن. وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** تأمر الآية الكريمة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يأمر المؤمنات بأن يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن وقد أمر بذلك الرجال من ذي قبل. ولما كانت المرأة تنشأ في الحلية وفي الزينة وقد قال الحق جلا وعلا[2]: **﴿أومن ينشأ في الحلية وهوفي الخصام غير مبين﴾** فقد تحدثت الآية الكريمة في زينة المرأة خلْقَةً وَخرْقَةً. إن الآية الكريمة في القول: **﴿ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها﴾** تنهي المؤمنات عن إبداء زينتهن إلا ماظهر منها. «فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها إلا لمن تحل له، أو لمن هي محرمة عليه على التأبيد، فهو آمن أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها»[3]. وبشأن الزينة الظاهرة: «اختلف الناس

---

(١) سورة النور ٣١.
(٢) سورة الزخرف ١٨.
(٣) تفسير القرطبي ٤٦١٩. طبعة الشعب القاهرة.

في قدر ذلك، فقال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب، وزاد ابن جبير الوجه. وقال سعيد بن جبير أيضا وعطاء والأوزاعي: الوجه والكفان والثياب. وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة: ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرطة والفتخ[1] ونحو هذا فمباح أن تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس»[2] «وقد قال ابن خويز منداد من علمائنا: إن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك، وإن كانت عجوزا أو مقبحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها»[3] و«من الزينة ظاهر وباطن. فما ظهر فمباح أبدا لكل الناس من المحارم والأجانب، وقد ذكرنا ما للعلماء فيه. وأما مابطن فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله تعالى في هذه الآية، أو حل محلهم»[4].

وإن الآية الكريمة في القول: **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾** تأمر المؤمنات بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن وصدورهن. «والخمر: جمع الخمار، وهو ماتغطى به رأسها، ومنه اختمرت المرأة وتخمرت، وهي حسنة الخمرة. والجيوب: جمع الجيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص، وهو من الجوب وهو القطع»[5] فالجيب من الثوب الموضع الذي يدخل

---

(١) الفتخ بفتحتين جمع الفتخة: حلقة كالخاتم لا فص فيها.

(٢) تفسير القرطبي ٤٦٢٠ . طبعة الشعب القاهرة.

(٣) المصدر السابق ٤٦٢١ .

(٤) المصدر السابق ٤٦٢١ «من علماء هذا العصر الذين ذهبوا إلى أن الوجه من الزينة الباطنة الشيخ أبو الأعلى المودودي أنظر الحجاب فصل: حكم الوجه ٢٨٤ ـ ٣٠٦ ومن الذين ذهبوا إلى أن الوجه من الزينة الظاهرة ولكن من الأولى ستره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: حجاب المرأة المسلمة ٤١».

(٥) تفسير القرطبي ٤٦٢٢ . طبعة الشعب القاهرة.

الشخص منه رأسه فإذا ارتدت المرأة درعها او قميصها كانت بحاجة إلى أن تسدل خمار رأسها وغطاءه إلى صدرها كي لا يبين شئ منه[١].

وقوله تعالى: ﴿**او نسائهن**﴾ يعنى المسلمات[٢] والشريفات وذوات العفة والحياء من غير المسلمات لا جرم أنهن يدخلن في حكم ﴿**نسائهن**﴾ من الآية المذكورة[٣].

وقوله تعالى: ﴿**أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال**﴾ أولي الحاجة. والإربة الحاجة»[٤] وغير أولي الإربة من الرجال: غير أصحاب الحاجة من الرجال إلى النساء[٥].

وقوله تعالى: ﴿**أو الطفل الذي لم يظهروا على عورات النساء**﴾ أو الأطفال الذين لم يطلعوا بالوطء، أي لم يكشفوا عن عوراتهن للجماع لصغرهم[٦].

وقوله تعالى : ﴿**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن**﴾ أي لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها. فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة واشد. والغرض التستر[٧].

---

(١) في كتابنا: تأملات في سورة الأحزاب ٤٨٦ ـ ٤٩٣ درسنا الكلمات الثلاث: الخمار، الجلاليب، الرداء.
(٢) تفسير القرطبي ٤٦٢٥.
(٣) الحجاب ٢٨٧.
(٤) تفسير القرطبي ٤٦٢٦.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير القرطبي ٤٦٢٨ وفي الأصل: لصغرهن.
(٧) تفسير القرطبي ٤٦٢٩

ولما كانت أمهات المؤمنين ـ رضوان الله تعالى عليهن أجمعين ـ الأسوة الحسنة للمؤمنات فإن الدروس القرآنية الموجهة اليهن يقصد بها النساء المؤمنات عموما. ومن هذه الدروس القرآنية مايكمل به الطهر والعفاف. ومما جاء في ذلك قول الحق جل وعلا في سورة الأحزاب[1]: **﴿يانساء النبي لستن كأحد من النساء. إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا. وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة. إن الله كان لطيفا خبيرا﴾**.

إن نساء المصطفى صلى الله عليه وسلم ينادين ويوصفن بأنهن لسن كأحد من النساء. والمعنى: «لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء. أي إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة. ومثله قوله تعالى: **﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾** يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين»[2]. «فكما أنه عليه السلام ليس كأحد من الرجال كما قال عليه السلام: لست كأحدكم، كذلك زوجاته اللاتي تشرفن به»[3] وإن من مظاهر تقوى النساء انهن حينما تضطر

---

(١) الآيات ٣٢ ـ ٣٤.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٣٧.
(٣) البحر المحيط ٧/ ٢٢٨.

الواحدة منهن لمخاطبة الرجال الأجانب لا تخضع بالقول ولا تلين فيه فيطمع الذي في قلبه مرض النفاق فيها بل على المرأة المسلمة أن يكون قولها أقرب إلى الصرامة والجد والاستقامة مقصورا على الضروري منه وتلك الصفات من مقومات القول المعروف شرعا وعقلا.

وبعد ذكر ما له علاقة بالقول من الصفات الحسنة يأتي دور الفعل، إن أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن الأسوة الحسنة للمؤمنات مأمورات بأن يبقين في بيوتهن وألا يخرجن منها إلا لضرورة ملحة. إن في البقاء في المنزل القرار والوقار. وإن من ألطف مايحسن الإشارة إليه أن ثمة قراءتين بشأن جملة: «قرن» تتعلق إحداهما بالقرار وتتعلق أخراهما بالوقار. يقول على سبيل المثال الطبري[1]: «واختلف القراء في قراءة قوله: وقرن في بيوتكن. فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين: وقرن، بفتح القاف بمعنى واقررن في بيوتكن. وكأن من قرأ كذلك حذف الراء الأولى من: اقررن وهي مفتوحة، ثم نقلها إلى القاف. كما قيل: فظلتم تفكهون، وهو يريد: فظللتم. فأسقطت اللام الأولى وهي مكسورة ثم نقلت كسرتها إلى الظاء. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة: وقرن، بكسر القاف، بمعنى كن أهل وقار وسكينة في بيوتكن»[2].

وكما أن أمر النساء بالقرار في البيوت دليل الوقار فقد نهين أن يتبرجن

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٣.
(٢) أنظر تفصيل هذا الكلام في تفسير القرطبي ٥٢٦٠ . طبعة الشعب القاهرة.

تبرج الجاهلية الأولى، والتبرج هو إظهار الزينة وإبراز المرأة محاسنها للرجال[1] والتبرج ذو علاقة بالبروج بمعنى القصور الواحد برج، وبه سمى بروج السماء لمنازلها المختصة بها، ومن متعلقات البروج الظهور والحسن ومن هنا قيل: تبرجت المرأة إذا أظهرت محاسنها[2] وبعد التخلية فلا خضوع بالقول ولا خروج من البيوت ولا تبرج تأتي التحلية فيُؤْمرن صلوات الله تعالى وسلامه عليهن بإقام الصلاة عماد العبادات البدنية، وبإيتاء الزكاة عماد العبادات المالية، وبطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة، وبذكر مايتلى في بيوتهن صلوات الله وسلامه عليهن أجمعين من آيات الله تعالى البينات ومن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الموحى بها والمبينة للقرآن الكريم.
ويكون الذكر من زاوية التذكر وعدم النسيان والغفلة، ومن زاوية الذكر باللسان في مجال الدعوة إلى الله تعالى والتبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن زاوية ترجمة التذكر وعدم النسيان إلى عمل[3] وينص السياق على الغاية الحميدة من كل هذه الدروس القرآنية السامية: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» «والرجس يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص. فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت»[4] وإن هذه الصفات المرغوب عنها والتي أذهبها الله تعالى

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٤.
(٢) أنظر مفردات الراغب الأصفهاني: «برج» ٤١ ومعجم مقاييس اللغة «برج» ١/ ٢٣٨.
(٣) بينا هذا المعنى بالتفصيل في: تأملات في سورة الأحزاب ٢٩٢ ـ ٢٩٤.
(٤) البحر المحيط ٧/ ٢٣١.

عن امهات المؤمنين الأسوة الحسنة للمؤمنات من أهم مقومات الطهر والعفاف في المرأة المسلمة.

ومالذي يجب على المرأة المسلمة الطاهرة الذيل العفيفة حينما تضطر للخروج من منزلها؟ الجواب في الآية الكريمة التالية من سورة الأحزاب[١] قال تعالى: ﴿**ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن. ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين. وكان الله غفورا رحيما**﴾ ونحن حينما نقف على مافسر به العلماء الجلباب كسرداب وسنمار والجمع الجلاليب[٢] فإنا نستطيع أن نتبين موجز ماقالوا في قول أبي حيان[٣]: قيل: والجلاليب الأردية التي تستر من فوق إلى أسفل. وقال ابن جبير: المقانع. وقيل: الملاحف. وقيل: الجلباب كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، وقيل: كل ماتستتر به من كساء أو غيره، قال أبوزيد:

تجلبت من سواد الليل جلبابا

وقيل: الجلباب أكبر من الخمار.

وحينما نعلم أن الخمار من المرأة كالعمامة من الرجل، تغطى به المرأة رأسها وترسله على نحرها وصدرها كيلا يبين شئ منهما، مما يمكن ظهوره من جوب القميص والثوب، أي من قطع القميص والثوب والمكان الذي تدخل المرأة منه رأسها في القميص أو الثوب، نتبين أن الجلباب نوع من الثياب غير الخمار وغير القميص

---

(١) الآية ٥٩.

(٢) أنظر مثلا القاموس المحيط ولسان العرب: «جلب»

(٣) البحر المحيط ٧/ ٢٥٠.

أو الدرع وأن من سماته أنه يستر كامل الجسم وأنه ثوب واسع فضفاض. وأن ستر كامل الجسم يفهم من القول:

تجلببت من سواد الليل جلبابا

لأن سواد الليل ساتر كل شيء وكل جسم.

وتنص الآية الكريمة على الحكمة من إدناء الجلابيب وإرسالها سابغة كي تغطى كامل الجسم: **«ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين»** والمعنى أن هذا الزى الإسلامي المحتشم يعرف منه مرضى النفوس والقلوب أن صواحبه عفيفات شريفات طاهرات.

ويتصل بأمر الله تعالى المؤمنات بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن في سورة النور وبأن يدنين عليهن من جلابيبهن في سورة الأحزاب آية الحجاب في سورة الأحزاب. قال تعالى[1]: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق. وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب. ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن. وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا. إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾** ويتضح معنى الآية الكريمة من معرفة سبب نزولها. قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب[2] يقول

---

(١) سورة الأحزاب ٥٣.

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٢٧ حديث رقم ٤٧٩٢.

أنس رضي الله عنه: بني على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا، فيجئ قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجئ قوم فيأكلون ويخرجون. فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو فقلت: يانبي الله ما أجد أحدا أدعوه فقال: فارفعوا طعامكم. وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله. فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، وكيف وجدت أهلك بارك الله لك. فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة. ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج مطلقا نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا. فرجع حتي وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب»[1] قوله: فتقرى، بفتح القاف وتشديد الراء بصيغة الفعل الماضي، أي تتبع الحجرات واحدة واحدة[2] قوله: فما أدري اخبرته أو أُخبر: مبني للمجهول أي أُخبر بالوحي[3] والاسكفة: عتبة الباب التي يوطأ عليها[4].

تنادي الآية الكريمة الذين آمنوا لأنهم هم المستفيدون من آداب

---

(١) فتح الباري ٨/ ٥٢٧ حديث رقم ٤٧٩٣.
(٢) المرجع السابق ٨/ ٥٣٠.
(٣) المرجع السابق ٨/ ٥٣٠.
(٤) لسان العرب: «سكف».

القرآن الكريم وتوجيهاته وتنهاهم عن دخول بيوت النبي صلى الله عليه وسلم دون دعوة وربما دون إذن متحينين الوقت الملائم للدخول لتناول الطعام منتظرين دون ملل نضجه وإذا انتهى الطعام آنس بعضهم بعضا بالحديث. إن الآية الكريمة تسمح لهم بالدخول لتناول الطعام حينما يدعون لذلك وحينما يؤذن لهم بالدخول وفي الوقت المناسب وليس قبل الوقت المناسب بأن ينتظروا إنى الطعام بمعنى نضجه وإدراكه وبلوغه[1] إنهم إذا دعوا دخلوا. فإذا أكلوا انصرفوا غير مستأنسين لحديث من بعضهم لبعض. إن ذلكم المكث كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فيستحيي منكم أن يخرجكم والله تعالى لا يستيحيي من الحق أن يبينه لكم. وإذا سألتم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم متاعا فأسألوهن من وراء حجاب ومن خلف ستر. إن ذلكم أطهر لقلوبكم من الخواطر المريبة وقلوبهن. وما كان لكم ولا صح أن تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعد وفاته أبدا. إن الأذي والزواج كان عند الله تعالى ذنبا عظيما وإثما مبينا[2] ويقول ابن كثير[3]: «ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ـ كما تقدم ـ واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله:

---

(١) لسان العرب: «أنى».

(٢) أنظر مثلا تفسير الطبري ٢٢/ ٣٠ وتفسير القرطبي ٥٣١٢. طبعة الشعب القاهرة.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٠٦.

﴿من بعده﴾ أم لا . أما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فما نعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعا . والله أعلم» .

ومن البين علاقة الآية الكريمة بالاستئذان إضافة إلى الحجاب . والمعروف أن الشارع الحكيم قد أذن للقواعد من النساء عن الحيض والولد لكبرهن اللاتي لا يرجون نكاحا بسبب ذلك أن يضعن ثيابهن من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار شريطة ألا يتبرجن بزينة. والأفضل من ذلك أن يستعففن بألا يضعن ثيابهن. قال تعالى[١] : **﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة . وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾** .

(ج) الاستئذان :

لقد جاء بشأن الاستئذان لدخول غير بيوتنا وبشأن دخول البيوت غير المسكونة التي فيها متاع لنا قول الحق جل وعلا[٢] : **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا على اهلها . ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتي يؤذن لكم. وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم . والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم. والله يعلم ماتبدون وما تكتمون﴾** إن رب العزة ينهى الذين آمنوا أن يدخلوا بيوتا غير

---

(١) سورة النور ٦٠

(٢) سورة النور ٢٧ ـ ٢٩ .

بيوتهم حتى يستأنسوا ويسلموا على أهلها. والمراد بالاستئناس الاستئذان بتنحنح ونحوه عند الجمهور[1] وأخرج الطبري من طريق قتادة قال: الاستئناس هو الاستئذان ثلاثا، فالأولى ليسمع، والثانية ليتأهبوا له، والثالثة إن شاءوا أذنوا له وإن شاءوا ردوا. والاستئناس في اللغة طلب الايناس وهو من الأنس بالضم ضد الوحشة[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع[3] ولم يكتف الشارع الحكيم بالاستئذان بل أردف ذلك بالقاء السلام بمعنى الأمن والطمأنينة. إن الاستئناس وإلقاء السلام خير لنا لعلنا نتعظ. فإن لم نجد أحدا فليس من حقنا أن ندخل حتى يؤذن لنا. وإن قيل لنا ارجعوا فعلينا الرجوع، هو أزكى لنا وأطهر. والله تعالى عليم بما نعمل. وبشأن البيوت غير المسكونة والتي لنا فيها متاع ليس علينا جناح ولا اثم أن ندخلها وعلينا جميعا أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم مانبدي ومانكتم: **﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾**[4].

وإن الحديث النبوي الشريف التالي يبين أهمية الاستئذان من أجل البصر. عن أنس بن مالك أن رجلا أطلع من بعض حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص ـ أو بمشاقص ـ فكأني أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه[5]

---

(١) فتح الباري ١١/ ٨.
(٢) المرجع السابق ١١/ ٨.
(٣) المرجع السابق ١١/ ٢٧ حديث ٦٢٤٥.
(٤) سورة النور ٦١.
(٥) فتح الباري ١١/ ٢٤ حديث رقم ٦٢٤٢.

المشقص بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه: نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض[1] ويختل بفتح أوله وسكون المعجمة وكسر المثناة: أي يطعنه وهو غافل[2] إن النبي صلى الله عليه وسلم هم بأن يطعن بالمشقص عين الذي نظر من ثقب حائط حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وسلم. وقد جاء في الحديث الآخر بشأن الحادثة ذاتها قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل: (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك. إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)[3] ومن حديث عبدالله بن بسر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر[4] وإذا بلغ الأطفال الحلم وهو زمان البلوغ[5] عليهم أن يستأذنوا في كل الأوقات. قال تعالى: **﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم. كذلك يبين الله لكم آياته. والله عليم حكيم﴾** أما قبل أن يبلغ الأطفال الحلم وكذلك المماليك فإن عليهم أن يستأذنوا في ثلاثة أوقات يكون فيها عادة التخفف من الثياب، وفيما عدا هذه الأوقات الثلاثة لا يستأذنون لأنهم طوافون بالخدمة على أهل المنزل. قال تعالى[6]: **﴿ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات، من قبل صلاة**

---

(١) فتح الباري ١١/ ٢٥.
(٢) المرجع السابق ١١/ ٢٥.
(٣) المرجع السابق ١١/ ٢٤ حديث ٦٢٤١.
(٤) المرجع السابق ١١/ ٢٥.
(٥) مفردات الراغب الاصفهاني: «حلم» ١٢٩.
(٦) سورة النور ٥٨.

الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهير ومن بعد صلاة العشاء. ثلاث عورات لكم. ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض. كذلك يبين الله لكم الآيات. والله عليم حكيم﴾.

(٦)

حمايـة حقـوق الأسـرة المسـلمة

(أ) حقوق الآباء والأمهات :

ما أكبر عناية القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالوالدين والحث على برهما. ومن أقوى الادلة على ذلك الجمع في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف في العديد من المواضيع بين توحيد الله تعالى وبر الوالدين. جاء مثلا في سورة الإسراء[1] قوله تعالى: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾** إن رب العزة قد قضى وفرض وكتب ألا نعبد إلا إياه جل وعلا وأن نحسن بالوالدين إحسانا. وأنظر إلى بلاغة التعبير وإعجاز النظم في التقديم والتأخير الذي يتجلى في قوله تعالى: **﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾** ويتضح روعة التقديم والتأخير وهما من مقومات علم المعاني بل إنهما صلب علم المعاني أو مايصح أن يسمى بنظرية النظم التي أرسى قواعدها الإمام النحوي والبلاغي الأ شهر عبد القاهر الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١هـ[2] في كتابه دلائل الإعجاز على جهة الخصوص. وكأن أصل الكلام: إما يبلغن أحد والديك أو كلاهما الكبر عندك. وإذا أردنا التفاؤل الأكبر قلنا كأن الأصل: إما يبلغن كلا والديك أو أحدهما الكبر عندك. ومن البين أن تعبيرنا وأد كلا

---

(١) الآية ٢٣ و٢٤.

(٢) أنظر مثلا الاعلام لخير الدين الزركلي ٤/ ٤٨ عبد القاهر بن عبد الرحمن ابن محمد الجرجاني، ابوبكر.

من المعنى وحلاوة الجرس في الجزئية من الآية الكريمة. إن هذه الجملة الفعلية يأتي بعد الفعل فيها مباشرة ظرف المكان «عند» وقد لحق به الضمير العائد إلى المخاطب. وفي ذلك تنبيه إلى أن المخاطب سيكون عنده وفي كنفه ورعايته ومعيته من سيتناوله السياق بالحديث. ولما كان الحديث في صدر الآية الكريمة عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وعن بر الوالدين وذلك في القول: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾** كانت النفس مستعدة لأن تفهم بأن الحديث سوف يتجه إلى الوالدين. والمعروف أن الظرف فضلة وحقه التأخير. ومع ذلك فقد تقدم بسبب المعنى حتي لا مجال لمزيد من التقديم. وقد تأكد ما استعدت النفس لفهمه من اتجاه الحديث إلى الوالدين حينما جاء بعد الظرف المقدم الذي حقه التأخير المفعول به: «الكبر» مقدما، وحقه، كما هو معروف، التأخير عن الفاعل من وجهة الصناعة النحوية. وإن تقديم المفعول به أكد ماستعدت النفس لفهمه من احتمال اتجاه الحديث إلى الوالدين وأيدت هذا الفهم لأن صفة الكبر ترشح لاتجاه الحديث عن الوالدين اللذين أمرت الآية الكريمة في صدرها الأبناء ببرهما. وفي المثل المشهور: «من سره بنوه ساءته نفسه»[1] فإذا جاء الفاعل المتأخر: «أحدهما» تحقق ماتوقعته النفس وكان مجئ القول: «أحدهما» الذي يشير إلى الحالة الغالبة من كون الابن إنما يكون رجلا مسؤولا في وقت تكون فيه المنية قد اخترمت أحد الوالدين فبقي الآخر وحيدا أحوج الناس لبر الابن أو الأبناء وإحسانهم

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٣٠٠ مثل رقم ٤٠١٨.

أليه. ويعطف على القول الذي يشير إلى الحالية الغالبة: «أحدهما» القول الذي يشير إلى الحالة الأخرى الأقل احتمالا والتي تدل على بقاء الوالدين معا حيين يرزقان: «أو كلاهما».

إن نظم الجزئية الكريمة الذي يكشف عن المعنى تباعا يذكرنا بالوجه الباسم للقمر الذي تنقشع عنه السحب قليلا قليلا. أو بالوجه المشرق للشمس حينما تكشف السحب عن حاجب لها ثم تتبعه بكشف الحاجب الآخر الذي ضنَّت به أول الأمر. وإن هذا المعنى يذكرنا بقول الشاعر الأوسي الجاهلي اليثربي قيس بن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنَّت بحاجب[1]

وما هو جواب الشرط في القول: «إما يبلغن...»؟ الجواب في قوله تعالى: ﴿**فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما**﴾ إن كلمة التضجر: «أف» وهي اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر[2] غير مسموح للابن أو البنت أن يقولها لأحد والديه ومن باب الأحرى والأولى ألا ينهرهما وألا يزجرهما. وإذا كان الحديث هنا يتعلق بالقول الذي ينبغي أن يكون كما أمر الحق جل وعلا: ﴿**وقل لهما قولا كريما**﴾ فإن الآية الكريمة التالية تتعلق بالفعل وبالدعاء. قال تعالى: ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**﴾ إن الواجب على الابن أن يخفض

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ٧٩ الطبعة الثانية بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
(٢) الجدول في اعراب القرآن وصرفه ٨/ ٢٨.

لوالديه جناح الذل بسبب الرحمة لهما والبر بهما. والجناح من الإنسان جانبه ويدخل فيه يده. وقد استعير اللفظ من الطائر بسبب مايتسم به الجناح من اللين والطواعية عموما وبسبب مايتسم به الجناح من الانخفاض عند التَّطامن والهبوط خصوصا. ويتوج القول الحسن والفعل الحسن بدعاء الله تعالى أن يرحمهما بسبب التربية للابن حينما كان صغيرا. ومن البين التشابه بين ضعف الوالدين في الكبر وضعف الأبناء في الصغر. إن كلا منهما وقت ضعفه شديد الحاجة للآخر[1] فعلى كل ابن وبنت أن يهتبل الفرصة وليحرص على نيل حظه من بر والديه والاقتباس من مشكاة هذا الحديث النبوي الشريف[2] «عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان فانسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة. قال ربعي[3]: ولا أعلمه إلا قال: أو احدهما. إن هذه المعاني النبيلة السامية ذكرتني بمقطوعة نظمتها في حدود سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجرية. وخير ما في المقطوعة عاطفتها:

وفي ليلة من ليالي الشتاء تسترت الأنجم الزاهية
وقد جمدت في العروق الدماء وقيدت الألسن الداعية
وعز الصديق وفر الرفيق وكل يقول أيا ذاتية
بسابحة في التهام الطريق كفر الظباء من الرامية

---

(١) درسنا الآيتين الكريمتين في: تأملات في سورة الإسراء ١٠٢ ـ ١١٥.
(٢) المسند للامام احمد بن حنبل ١٣/ ١٨٩ حديث رقم ٧٤٤٤.
(٣) راوي الحديث. المسند ١٣/ ١٨٩.

هنالك قلبان لم يهجعا وأعين لما تنم ثانية
لفلذة قلبين أن يفزعا فتقلب دنياهما حامية
إذا ضمه الأب في صدره تداريه والدة حانية
تقول وتمسح في ظهره ألا نم عيوني في عافية
يكرر إصلاح أثوابه وليس بأثوابه نابيه
ولكن قلبا ضننا به يلذ الشقاء فدا غاليه
وأطرقت أسبح في ذكريات وأذني لما تعد واعية
وساءلت نفسي هل أخريات تقاصر عن وعيها باليه؟
فكان الجواب لهيبا يفور يوجج قلبي وأحشائيه
أرباه أنت العفو الغفور وسالت دموعي بآماقيه
ووجهت وجهي نحو السماء وقلبي ملئ بآماليه
وأرسلتها دعوة في الفضاء جزاؤكما الجنة العالية

ومن الآيات الكريمات التي جمعت بين الأمر بالتوحيد وبين الأمر بالإحسان إلى الوالدين قول الحق جل وعلا في سورة النساء[1] : **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامي والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم. إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾** وقول الحق جل وعلا في سورة الأنعام[2] : **﴿قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق. ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾**

(١) الآية ٣٦.
(٢) الآية ١٥١.

وللوالدة حظ أكبر من البر في قول الحق جل وعلا[1]: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾** وفي قول الحق جل وعلا[2]: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً. حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا. حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت اليك وإني من المسلمين. أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾** بل إن بر الوالدين يشمل المشركين. وفي هذا المعنى جاء قول الحق جل وعلا[3]: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا. وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما. إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾** وقول الحق جلا وعلا[4]: **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي. ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**.

وإن هذه المعاني القرآنية السامية تبينها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذه طائفة منها. عن عبدالله بن مسعود[5] قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال بر الوالدين.

---

(١) سورة لقمان الآية ١٤.
(٢) سورة الأحقاف ١٥ و١٦.
(٣) سورة العنكبوت ٨.
(٤) سورة لقمان ١٥.
(٥) جاء النص عن ابن مسعود في سنن الترمذي ٤/ ٢٧٤ حديث رقم ١٨٩٨.

قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال حدثني بهن، ولو استزدته لزادني[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله، من أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال: ثم ابوك[2] ومن العلماء من فهم أن مقتضى الحديث أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع. فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية. وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين**﴾ فسوى بينهما في الوصاية، وخص الأم بالأمور الثلاثة قال القرطبي: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتقدم في ذلك على حق الأب عند المزاحمة[3] وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يارسول الله. قال ثلاثا: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها حتي قلت لا يسكت[4] ورواية الترمذي[5]: «فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها حتى قلنا ليته سكت» وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أجاهد. قال:

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٤٠٠ حديث رقم ٥٩٧٠.
(٢) المرجع السابق ١٠/ ٤٠١ حديث رقم ٥٩٧١ وسنن الترمذي ٤/ ٢٧٣ حديث رقم ١٨٩٧.
(٣) المرجع السابق ١٠/ ٤٠٢.
(٤) المرجع السابق ١٠/ ٤٠٥ حديث رقم ٥٩٧٦ و٥٩٧٧.
(٥) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٥ حديث رقم ١٩٠١.

لك أبوان؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد[1] وعن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعا وهات[2] ووأد البنات. وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال[3] وعن ابن عمر قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يارسول الله، أذنبت ذنبا كثيرا، فهل لي توبة؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألك والدان؟ قال: لا، قال: فلك خالة؟ قال: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فبرها إذن[4] وعن أسماء[5] قالت: قدمت أمي وهي مشركة - في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم - مع أبيها، فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة[6] قال: نعم، صلي أمك[7] وجاءت هذه الزيادة في رواية أخرى للحديث[8]: «قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾**[9] وعن عبيد الله بن عبدالله أن عبدالله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل اليه فقال: فما يأمر؟ يعنى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة[10].

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٤٠٣ حديث رقم ٥٩٧٢.
(٢) منعا مصدر منع يمنع. والحاصل من النهي منع ما أمر باعطائه وطلب ما لا يستحق اخذه.
(٣) فتح الباري ١٠/ ٤٠٥ حديث رقم ٥٩٧٥.
(٤) المسند ٦/ ٢٨٤ حديث رقم ٤٦٢٤.
(٥) هي أسماء ابنة أبي بكر كما جاء في حديث رقم ٥٩٧٨ فتح الباري ١٠/ ٤١٣.
(٦) المراد راغبة في صلتي. فتح الباري ١٠/ ٤١٣.
(٧) المرجع السابق ١٠/ ٤١٣ حديث رقم ٥٩٧٩.
(٨) حديث رقم ٥٩٧٨. المرجع السابق ١٠/ ٤١٣.
(٩) الآية رقم ٨ من سورة الممتحنة.
(١٠) فتح الباري ١٠/ ٤١٣ حديث رقم ٥٩٨٠.

ب) حقوق الأبناء :

وإذا كان الأبوان أو الزوجان يكوِّنان اللبنة الأولى في كل أسرة جديدة، وكان الأبناء ثمرة الزواج، وإذا كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد أوصى كل منهما بالوالدين خيرا فإن محبة الوالدين للأبناء لما كانت فطرية فإن القرآن الكريم لم يوص الآباء بالأبناء بطريق مباشر. ويصح أن نفهم أن القرآن الكريم أوصى الآباء بالأبناء بطريق غير مباشر، والمعروف أن في القرآن الكريم وصية واحدة للآباء بالأبناء وهي وصية متعلقة بالمال والعدل والانصاف في إعطاء كل ذي حق حقه من المال وذلك في قول الحق جل وعلا[1] : **﴿يوصيكم الله في أولادكم. للذكر مثل حظ الانثيين﴾** أما في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فثمة الكثير من التوجيهات النبوية الشريفة للآباء في حق الأبناء. وبشأن الإيصاء للآباء في القرآن الكريم بطريق غير مباشر يصح أن نفهمه من قول الحق جل وعلا[2] : **﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت. كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾** إن القول في الآية الكريمة : **﴿وله ذرية ضعفاء﴾** يصح أن يبين معناه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه[3] لسعد بن أبي وقاص :

(١) سورة النساء ١١ .
(٢) سورة البقرة ٢٦٦ .
(٣) رياض الصالحين ٧ .

«إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أ تذرهم عالة[1] يتكففون الناس»[2]كما يصح ان نفهم إيصاء الآباء بطريق غير مباشر من قول الحق جل وعلا[3]: **﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا. إن الذين يأكلون أموال اليتامي ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾** إن على الأوصياء أن ينزّلوا اليتامي منزلة أبنائهم وبناتهم. فكما يحرص الآباء بالغريزة والفطرة على مصلحة أبنائهم وذراريهم في كل المجالات بما في ذلك مجال المال، عليهم أن يحرصوا على المصلحة ذاتها لليتامي ولذراري الآخرين الذين انتقلوا إلى رحمة الله تعالى وأصبح هؤلاء الأحياء بإذن الله تعالى آوصياء على تلك الذريه.

وبشأن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ماأكثر الأحاديث النبوية الشريفة التي توصي بالأبناء خيرا والتي نستطيع أن نقول إنها تعميق لمعنى هذا الحديث النبوي الشريف: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)[4] وإليك هذا الحديث في العدل بين الأولاد. عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال وهو على المنبر: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتي تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة

---

(١) عالة : فقراء.

(٢) رياض الصالحين ٧.

(٣) سورة النساء ٩ و١٠.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٨٣ حديث رقم ١٩١٩ وأنظر رقم ١٩٢٠ و١٩٢١.

عطية، فأمرتني أن أشهدك يارسول الله. قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا. قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. قال فرجع فرد عطيته[1] وما أكثر الأدلة من سنته صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية على رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغار وحبه لهم وعطفه عليهم وبخاصة البنات. وإليك هذه الأحاديث في تلك المعاني النبيلة السامية. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين ـ وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام[2] فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه. ثم دخلنا عليه بعد ذلك ـ وإبراهيم يجود بنفسه ـ فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يارسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة. ثم أتبعها بأخرى[3] فقال صلى الله عليه وسلم: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا مايرضى ربنا، وإنا بفراقك ياإبراهيم لمحزونون[4] وعن ابن أبي نُعْم قال: كنت شاهدا لابن عمر وسأله رجل عن دم البعوض فقالَ: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق. قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه

---

(١) فتح الباري ٥/ ٢١١ حديث رقم ٢٥٨٧.

(٢) ظئرا بكسر المعجمة وسكون التحتانية المهموزة بعدها راء أي مرضعا. وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة. وأصل الظئر من ظأرت الناقة إذا عطفت على غير ولدها فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها. وأطلق ذلك على زوجها لأنه يشاركها في تربيته غالبا. فتح الباري ٣/ ١٧٣.

(٣) قيل أراد به أنه أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخري. وقيل أتبع الكلمة الأولى المجملة وهي قوله: «إنها رحمة» بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله: إن العين تدمع. فتح الباري ٣/ ١٧٤.

(٤) فتح الباري ٣/ ١٧٢ حديث رقم ١٣٠٣.

وسلم[1] وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: هما ريحانتاي من الدنيا[2] والمعنى أنهما (الحسن والحسين) مما أكرمني الله وحباني به، لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين. وقوله: من الدنيا، أي نصيبي من الريحان الدنيوي[3] وعن عبدالله بن أبي بكر أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال: من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كن له سترا من النار[4] فلنقارن بين عناية الإسلام بالبنت وبين وأد أهل الجاهلية لهن خوف العار في المقام الأول. وعن أبي قتادة قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها[5] وأمامة هذه بنت أبي العاص بن الربيع، وهي ابنة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم[6] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ماقبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله صلى عليه وسلم ثم قال: من لا يرحم

---

(١) يعني الحسين بن علي. فتح الباري ١٠/ ٤٢٧.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٢٦ حديث رقم ٥٩٩٤.
(٣) المرجع السابق ١٠/ ٤٢٧.
(٤) المرجع السابق ١٠/ ٤٢٦ حديث رقم ٥٩٩٥.
(٥) المرجع السابق ١٠/ ٤٢٦ حديث رقم ٥٩٩٦.
(٦) المرجع السابق ١٠/ ٤٢٩.

لا يرحم[1] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبي صلى عليه وسلم: أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة[2] وعن أبي عثمان النهدي يحدث عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: اللهم ارحمهما فإني أرحمهما[3] وعن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: لا تنزع الرحمة إلا من شقي[4] وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحم شجنة[5] من الرحمن، فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله[6] وعن انس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنْث[7] إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم[8] وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النساء قلن للنبي

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٤٢٦ حديث رقم ٥٩٩٧ وأنظر حديث رقم ٦٠١٣. فتح الباري ١٠/ ٤٣٨.
(٢) المرجع السابق ١٠/ ٤٢٦ حديث رقم ٥٩٩٨.
(٣) المرجع السابق ١٠/ ٤٣٤ حديث رقم ٦٠٠٣.
(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٨٥ حديث رقم ١٩٢٣.
(٥) الشجنة، بكسر الشين وضمها: عروق الشجر المشتبكة، وهنا أن الرحم مشتقة من الرحمن. والمعنى أنها قرابة من الله تعالى مشتبكة كاشتباك العروق.
(٦) سنن الترمذي ٤/ ٢٨٥ حديث رقم ١٩٢٤.
(٧) الحنث بكسر المهملة وسكون النون بعدها مثلثة، المعني لم يبلغوا الحلم فتكتب عليهم الآثام. فتح الباري ٣/ ١٢٠.
(٨) المرجع السابق ٣/ ١١٨ حديث رقم ١٢٤٨.

صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا يوما. فوعظهن وقال: أيُّما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابا من النار. قالت امرأة: واثنان. قال: واثنان[1] وإن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة في رحمته للخادم وبخاصة حينما يكون صغير السن. عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف[2] ولا لم صنعت؟ ولا ألا صنعت[3] وأنس بن مالك رضي الله عنه نجاري خزرجي أنصاري ولد سنة عشر قبل الهجرة بالمدينة المنورة أسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض عليه الصلاة والسلام[4].

وإن الإسلام الذي هو دين الوسطية في كل الأمور مع حثه على الرحمة بالصغير والتوقير للكبير ينهى عن الإسراف في الحب والتمادي في الهوى إلى الحد الذي ينتهي بالمسلم ـ لا سمح الله ـ إلى إيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة. ويتضح هذا الدرس القرآني العظيم من تأمل قول الحق جل وعلا[5]: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم**﴾ جاء في سبب نزول الآيتين الكريمتين في تفسير ابن

---

(١) افتح الباري ٣/ ١١٨ حديث رقم ١٢٤٩.

(٢) أف: اسم فعل مضارع بمعنى اتضجر.

(٣) فتح الباري ١٠/ ٤٥٦ حديث رقم ٦٠٣٨.

(٤) الأعلام للزركلي أنس بن مالك ٢/ ٢٤ وانظر فتح الباري ١٠/ ٤٥٩ و٤٦٠.

(٥) سورة الأنفال ٢٧ و٢٨.

كثير[1]: (قال عبد الرزاق عن بن أبي قتادة والزهري: أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح. ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله فحلف لا يذوق ذواقا[2] حتي يموت أو يتوب الله عليه. وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه فمكث كذلك تسعة أيام حتي كان يخر مغشيا عليه من الجهد حتي أنزل الله توبته على رسوله. فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحلوه من السارية فحلف لا يحله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فحله. فقال يارسول الله: إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة، فقال: يجزيك الثلث أن تصدَّق به) وإنما فعل ابو لبابة ذلك لأن ماله وعياله وولده كانت عند بني قريظة[3] وفي الصحيحين قصة حاطب بن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عام الفتح. فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطبا فأقر بما صنع. فقام عمر بن الخطاب فقال يارسول الله: ألا أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فقال: دعه فإنه قد شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم[4] وقد صرح حاطب بأنه إنما فعل ذلك لأن أهله بين

(١) ٢/ ٣٠٠ وانظر أسباب النزول ٢٦٩.
(٢) في أسباب النزول ٢٧٠: «لا يذوق فيها طعاما».
(٣) أنظر إسباب النزول ٢٦٩.
(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٠١ وأنظر أسباب النزول ٤٨٥ ـ ٤٨٧.

ظهراني أهل مكة فخشي على أهله وأراد أن يتخذ عند أهل مكة يدا، وقد علم أن الله تعالى ينزل بهم بأسه، وأن كتابه لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فنزلت سورة الممتحنة[1]: **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم. ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾**[2] وقد جاء في سورة التغابن[3] قول الحق جل وعلا: **﴿ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم. وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم. إنما أموالكم وأولادكم فتنة. والله عنده أجر عظيم﴾** وفي سبب نزول الآيتين الكريمتين قيل إنهما نزلتا في الذين حال أهلهم وأولادهم بينهم وبين الهجرة فأطاعوهم وحينما عرفوا ما فاتهم بسبب التأخر في الهجرة هموا بمعاقبة أهلهم الذين منعوهم فطلب منهم العفو والصفح[4] روي عن خولة بنت حكيم أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو متحضن أحد ابني ابنته وهو يقول: إنكم

---

(١) أنظر أسباب النزول ٤٨٦.

(٢) سورة الممتحنة ١.

(٣) الآية ١٤ و١٥.

(٤) انظر مثلا أسباب النزول ٥٠٠.

لتبخِّلون وتجبِّنون وتجهِّلون، وإنكم لمن ريحان الله[1] وبعد أن ذكر ابن منظور الحديث قال[2]: (يريد أن الولد لما صار سببا لجبن الأب عن الجهاد وإنفاق المال والافتتان به، كان كأنه نسبه إلى هذه الخلال ورماه بها. وكانت العرب تقول: **(الولد مجهلة مجبنة مبخلة)** إن البنين يحملون الآباء على الجهل والسفه وذلك بنزول الوقور من الآباء إلى مستوى الأطفال في اللعب معهم والتصرف الذي يرضيهم ويسعدهم، ويحملون الآباء على الجبن عن القتال بسبب التفكير في الذرية بعد أن كانوا شجعانا، ويحملون الآباء على البخل بعد أن كانوا كرماء.

ج) حقوق النساء:

ما أشد عناية الإسلام بالنساء وما أكثر الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة بهن. وسبق أن تحدثنا عن العناية بالمرأة من زاوية كونها والدة وبنتا، ونود أن نتحدث عنها الآن من زاوية كونها زوجة. فإن هذه الزوجة هي والدة البنت ـ وكذلك الولد ـ مستقبلا، وهذا معناه أنَّ الحديث عن الزوجة يقتضي الحديث عن الزوج بل وعن العديد من أفراد الأسرة المسلمة التي عني بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عناية بالغة.

وبشأن اختيار الزوجة ذا ت الدين إذا كانت سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم المبينة للقرآن الكريم قد أمرت بتفضيل ذات الدين

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢٨٠ حديث رقم ١٩١٠.
(٢) لسان العرب: «جبن».

ووضعتها في المرتبة الأولى فإن هذه المنزلة الرفيعة للمرأة ذات الدين يصح أن نفهمها ضمنا من هاتين الآيتين الكريمتين من سورة الأحزاب[1] قال تعالى : **﴿ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾** إن رب العزة يأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي فتح الله تعالى له خزائن الأرض بعد غزوة الأحزاب وبني قريظة أن يقول لأزواجه رضوان الله تعالى عليهن أجمعين وقد سألنه المزيد من النفقة والأخذ بنصيب أوفر من الحياة الدنيا بأنهن إن كن يردن الحياة الدنيا وزينتها فإن لهن ذلك وسوف يعطيهن المصطفى صلى الله عليه وسلم مايتمتعن به مما أشار إليه قوله تعالى في سورة البقرة[2] : **﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين﴾** وقوله تعالى[3] : **﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾** وسوف يسرحهن ويطلقهن سراحا وطلاقا جميلين وفق سنة الإسلام الجميلة في الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى . والدليل على أن التسريح بمعنى الطلاق قول الحق جل وعلا[4] : **﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾** أما إن أراد زوجات المصطفى صلى الله عليه وسلم الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله سبحانه وتعالى أعد للمحسنات منهن اجرا عظيما . والمعروف أن كل

---

(١) الآية ٢٨ و٢٩ .
(٢) الاية ٢٣٦ .
(٣) سورة البقرة ٢٤١ .
(٤) سورة البقرة ٢٢٩ .

زوجات المصطفى صلى الله عليه وسلم اخترن الله ورسوله والدار الآخرة رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن وجعل الجنة مثواهن[١] ولما كان امهات المؤمنين الأسوة الحسنة للنساء المؤمنات فإن الزوجات الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله يجد منهن اللواتي قدر الله تعالى رزق أزواجهن العزاء في هاتين الآيتين الكريمتين كما يجدن الأسوة الحسنة في أمهات المؤمنين اللآتي أردن الله ورسوله والدار الآخرة التي هي خير من الأولى بنص القرآن الكريم.

وكي يقوم النساء بأدوارهن المنوطة بهن خير قيام من كونهن زوجات أو محرمات على التأبيد أو إلى حين وضع الشارع الحكيم الضوابط والأحكام التي ترضى كل عقل وتشبع كل نفس. ومن أمور الجاهلية التي قضى عليها الإسلام قضاء مبرما نكاح المقت، بمعنى البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح[٢] ونكاح المقت أن يتزوج الرجل أمرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها[٣] وفي نكاح المقت هذا نزل قول الحق جل وعلا[٤]: **﴿ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف. إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾** وحينما نقارن بين آية النهي عن نكاح المقت وبين آية النهي عن الزنا في قول الحق جل وعلا[٥]: **﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾** نتبين أن نكاح المقت كان حظه من النهي أكبر من حظ النهي عن الزنا بسبب زيادة القول: «ومقتا»[٦].

---

(١) درسنا الآيتين الكريمتين في: تأملات في سورة الأحزاب ٢٦٤ ـ ٢٧٧.
(٢) مفردات الراغب الاصفهاني: «مقت» ٤٧٠.
(٣) تفسير القرطبي ١٦٧٤.
(٤) سورة النساء ٢٢.
(٥) سورة الإسراء ٣٢.
(٦) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة النساء (مخطوط).

وإن نص الآية الكريمة على إحدى المحرمات من النساء على التأبيد توطئة للحديث بعد ذلك عن المحرمات من النساء. قال تعالى[1]: ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللآتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللآتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف. إن الله كان غفورا رحيما. والمحصنات من النساء إلا ماملكت أيمانكم**﴾[2] عن ابن عباس قال: يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ: ﴿**حرمت عليكم امهاتكم**﴾ الي قوله: ﴿**والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم**﴾[3].

ولا يستطيع الإنسان إلا أن يقف بخشوع أمام النظم المعجز الذي يرضى العقل بفصوص حكم المعاني ويشبع النفس بجميل تركيب المباني. ونستطيع أن نوجز الحديث عن ترتيب المحرمات بأن النظم قدم السبع المحرمات نسبا لأنهن أولى بالتقديم على السبع المحرمات صهرا. ووراء ذلك قدم السياق في الذكر الأولى بالتحريم فالأولى. ولا تخفى هذه الحقيقة على كل متأمل لترتيب المحرمات الأربع عشرة. والمحصنات من النساء هن ذوات الأزواج وتستثنى الآية الكريمة ماملكت الأيمان. عن ابن عباس: كل امرأة لها زوج

---

(١) سورة النساء ٢٣ و٢٤.
(٢) درسنا الآيتين الكريمتين في: تأملات في سورة النساء «مخطوط».
(٣)تفسير الطبري ٤/ ٢٢٠ وتفسير ابن كثير ١/ ٤٦٩.

فهي عليك حرام الاّ أمة ملكتها ولها زوج بأرض الحرب فهي لك حلال إذا استبرأتها[1] .

ومن البين الحكمة من تحريم الزواج بهذه الفئات . وهذه الحكمة تجلت في ترتيب المحرمات حيث إن السياق إذا كان قد بدأ بالأشد قربا وهن الأمهات فإنه أخذ يتحول باستمرار إلى التالية في القرب، بمعنى أن السياق يتجه باستمرار نحو البعيدات من جهة النسب أولا ومن جهة الصهر آخرا . وبعد أن شمل السياق كل المحرمات وفق هذا النسق البديع جاء فيه القول[2] : **﴿وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾** وإن النساء وراء المحرمات هن اللآتي يتحقق بواسطتهن الاستمتاع الذي أشار إليه بعد ذلك القول[3] : **﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة﴾** والمراد بالأجور المهور[4] والحقيقة أن القول في هذه الآية الكريمة الرابعة والعشرين من سورة النساء : **﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة . ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾** يفسره قول الحق جل وعلا في الآية الكريمة الرابعة من سورة النساء : **﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة . فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾** إن رب العزة يأمر الأزواج بأن يعطوا زوجاتهم صدقاتهن، بمعنى مهورهن، وواحد الصدقات صدُقة بضم الدال[5] نحلة وعن طيب نفس من

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٢ .

(٢) سورة النساء ٢٤ .

(٣) سورة النساء ٢٤ .

(٤) أنظر تفسير الطبري ٥/ ٩ والجلالين وتفسير القرطبي ١٥٩٣ .

(٥) تفسير القرطبي ١٥٩٣ . طبعة الشعب القاهرة .

الأزواج من غير تنازع[1] وبعد ثبوت المهور للزوجات فإن طبن للأزواج عن شئ من المهور نفسا فتنازلن عن بعضها أو عنها كلها للأزواج فإن من حق الأزواج أن يأكلوا هنيئا مريئا ماطابت به لهم زوجاتهم منه نفسا، ولا جناح عليكم أيها الأزواج ولا حرج فيما تراضيتم أنتم وهن به من بعد فرض المهور لهن[2].

وقد أباح الإسلام للرجل أن يتزوج حتى أربع نسوة شريطة العدل بين الزوجات. قال تعالى[3]: **﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾** وهذه الآية الكريمة كما يبدو من سبب النزول ذات علاقة بالآية الكريمة السابعة والعشرين بعد المائة من سورة النساء. قال تعالى: **﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن ومايتلى عليكم في الكتاب في يتامي النساء اللآتي لا تؤتونهن ماكتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط. وماتفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾** جاء في سبب النزول في البخاري[4] ومسلم[5] واللفظ للبخاري (عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: **﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي﴾** فقالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تُشْركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير

---

(١) تفسير القرطبي ١٥٩٤.
(٢) انظر هنا مثلا تفسير الطبري ٥/ ٩ و١٠.
(٣) سورة النساء ٣.
(٤) صحيح البخاري ٦/ ٥٣.
(٥) صحيح مسلم ١٨/ ١٥٤ ـ ١٥٦.

أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل مايعطيها غيره، فنهو عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ماطاب لهم من النساء سواهن. قال عروة قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فأنزل الله ﴿**ويستفتونك في النساء**﴾ قالت عائشة: وقول الله تعالى في آية أخري: ﴿**وترغبون أن تنكحوهن**﴾ رغبة إحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال. قالت فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إن كن قليلات المال والجمال».

من سبب النزول يتبين أن الآية الكريمة الأولى في اليتيمة التي يرغب وليها فيها لمالها وجمالها وان الآية الكريمة الأخرى في التميمة التي يرغب وليها عنها لقلة مالها ودمامتها. ومعنى الآية الكريمة الأولى: وإن خفتم أيها الأوصياء والأولياء في يتامى النساء اللآتي ترغبون في نكاحهن وخشيتم أن تظلموهن ولا تعطوهن مهر المثل فتجاوزوهن وانكحوا ماطاب لكم من النساء الأخريات وحلَّ من الواحدة حتي الأربع. فإن خفتم ألا تعدلوا فانكحوا واحدة أو ماملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات: ﴿**ذلك ادنى ألا تعولوا**﴾ ذلك الاكتفاء بواحدة أدنى ألا تعولوا وأقرب ألا تجوروا ولا تميلوا[1] عن الحق[2] ومعنى الآية الكريمة الأخرى: ويستفتونك

(١) تفسير الطبري ٤/ ١٦٠.
(٢) تفسير القرطبي ١٥٩٠. طبعة الشعب القاهرة.

أيها الرسول الكريم والنبي العظيم في النساء. قل الله يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم في الكتاب، يعني في أول هذه السورة وذلك قوله: **﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾**[1] قل الله يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللآتي لا تؤتونهن مهورهن وحقوقهن التي فرضها الله تعالى في كتابه العزيز، واللآتي لا يرغب الأولياء في نكاحهن والزواج بهن لدمامتهن، وفي المستضعفين من الولدان[2] وفي أن تقوموا لليتامي بالقسط، أي بالعدل[3] بأن يؤتوهم حقوقهم من الميراث لأنهم كانوا لا يورثون الصغار من أولاد الميت[4] وماتفعلوا أيها الناس وأيها الأولياء والأوصياء من خير فإن الله تعالى كان به عليما وسوف يجازيكم عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ويقرر القرآن الكريم أن الأزواج لن يستطيعوا أن يكونوا عادلين بشأن الزوجات ولو حرصوا وبخاصة فيما يتعلق بالميل القلبي فعليهم ألا يميلوا كل الميل إلى الزوجة التي يميل إليها القلب فيذروا الزوجة الأخرى كالمعلقة وكالمرأة التي لا هي ذات زوج ولا هي أيّم[5] قال تعالى[6]: **﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة. وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما﴾** عن عائشة قالت: كان رسول الله

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ١٩٣.
(٢) المرجع السابق ٥/ ١٩٥.
(٣) المرجع السابق ٥/ ١٩٥ و١٩٦.
(٤) المرجع السابق ٥/ ١٩٥.
(٥) المرجع السابق ٥/ ٢٠١ وأنظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٤.
(٦) سورة النساء ١٢٩.

صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك، يعني القلب[1] وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل[2].

وما العمل حينما تخاف المرأة من زوجها نشوزا واستعلاء بنفسه عنها إلى غيرها أثرة عليها[3] أو إعراضاً عنها؟ الجواب في قول الحق جل وعلا[4]: **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير. وأحضرت الأنفس الشح. وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾** جاء في سبب النزول في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما كبرت سودة بنت زمعة[5] (وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهبت يومها لعائشة. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لها بيوم سودة[6] قالت عائشة: ففي ذلك أنزل الله: **﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا﴾**[7] وقد ماتت سودة رضي الله تعالى عنها وهي من أزواجه صلى الله عليه وسلم[8] ومعنى الآية

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٤ وتفسير الطبري ٥/ ٢٠٣ وسنن أبي داود ٢/ ٢٤٢ حديث رقم ٢١٣٤.
(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٤٢ حديث رقم ٢١٣٣ وتفسير ابن كثير ١/ ٥٦٤ وتفسير الطبري ٥/ ٢٠٣.
(٣) تفسير الطبري ٥/ ١٩٦.
(٤) سورة النساء ٢٨.
(٥) زمعة بسكون الميم وفتحها كما في القاموس ومابين معقوفين زيادة من سنن أبي داود ٢/ ٢٤٣ حديث رقم ٢١٣٥. (وفرقت) أي خافت.
(٦) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٢ وأنظر فتح الباري ٩/ ٣١٢ حديث رقم ٥٢١٢.
(٧) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٢ وأنظر صحيح البخاري ٦/ ٦٢ وأسباب النزول ٢١٥.
(٨) تفسير القرطبي ١٩٧٤.

الكريمة: وإن امرأة خافت من زوجها تعاليا عليها أو إعراضا عنها فلا جناح عليهما ولا إثم أن يصلحا بينهما صلحا بأن تتنازل الزوجة عن كل حقها أو بعضه وبأن يبقيها الزوج في عصمته «والصلح خير» دائما وأبدا وبخاصة بين الزوجين. ومعنى الشح البخل مع الحرص[1] وأحضر يتعدى إلى مفعولين اثنين كقولهم: أحضرت زيدا الطعام، والمفعول الأول الأنفس[2] وهو نائب فاعل مرفوع. والشح مفعول به منصوب[3] يقول ابو حيان[4]: (هذا من باب المبالغة. جعل الشح كأنه شئ معد في مكان وأحضرت الأنفس وسيقت إليه، ولم يأت وأحضر الشح الأنفس فيكون مسوقا إلى الأنفس، بل الأنفس سيقت إليه لكون الشح مجبولا عليه الإنسان ومركوزا في طبيعته) وتحث الآية الكريمة على الإحسان بمعنى صحة العمل وصوابه، وعلى التقوى بمعنى إخلاص العمل لله تعالى. إن الله سبحانه وتعالى خبير بما نعمل جميعا.

وأحيانا يكون النشوز من المرأة، وأحيانا يكون من المرأة والرجل معا. وفي هذه المعاني جاء قول الحق جل وعلا[5] ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من اموالهم. فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله. واللآتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع**

(١) مفردات الراغب الأصفهاني: «شح» ٢٥٦.
(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/ ٣٩٦.
(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣/ ١٦٠.
(٤) البحر المحيط ٣/ ٣٦٣.
(٥) سورة النساء ٣٤، ٣٥.

واضربوهن . فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا . ان الله كان عليا كبيرا . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما . إن الله كان عليما خبيرا﴾ .

الآية الكريمة الأولى تتحدث عن القوامة فتقرر أن الرجال قوامون على النساء وأن للأزواج القوامة على الزوجات . بمعنى أن الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت[١] وبمعنى أن الكلمة للرجل حينما تختلف وجهتا نظر الزوج وزوجه بشأن توجيه دفة الأسرة المسلمة . وتعين الآية الكريمة السببين في كون القوامة للرجال . أما السبب الأول ففي قوله تعالى : **﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾** بمعنى أن الرجل هو الذي هيأه الله سبحانه وتعالى من النواحي الجسمانية والعقلية والعاطفية كي يتصدى للجانب الخشن من الحياة العملية منها وذلك في مقابل ماهيأ الله سبحانه وتعالى له المرأة كي تتصدى للجانب الناعم من الحياة زوجا حنونا وأما رءوما وملكة في مملكتها الصغيرة أعني المنزل فقد خصها الله تعالى بمجموعة من الخصائص ليست للرجل، منها رقة العاطفة وفيض الشعور وفرط الحنان . هذا إلى ما لا يستطيع أن يقوم به سواها من حمل وإنجاب وإرضاع ورعاية شؤون المنزل ومصلحة الزوج وتربية الصغار، وما إلى ذلك من أمور مرتبطة بالمرأة . إن كل هذه الأمور من متعلقات الجانب الناعم من الحياة الذي يحتاج إلى كمية هائلة من العاطفة أو القوة الدافعة . وإن المرأة هي المهيأة للقيام بهذه المهمة وذلك في مقابل

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٩١ .

قيام الرجل بالأمور الأخرى التي تحتاج إلى قوة بدنية، وطاقة جسمانية، واستعداد للتعامل مع الجانب الخشن من الحياة، وقوة كابحة يحدث بسببها التوازن مع القوة الدافعة للمرأة. إن القوة الدافعة إنما كانت من نصيب النساء بسبب قوة عاطفة المرأة وفرط حنانها، وإن القوة الكابحة إنما كانت من نصيب الرجال بسبب قدرة الرجل على ضبط عواطفه وكبح جماح انفعالاته بأكثر من المرأة. وحينما نتأمل مجموع نصيب كل من الرجل والمرأة من القوتين معا الدافعة والكابحة نتبين أن الجنسين متساويان. ففي مقابل حظ المرأة الموفور من اندفاع العاطفة حظ الرجل الموفور من القدرة على ضبط العاطفة. ولا يمكن لأي مركبة أن تسير بالقوة الدافعة وحدها، ولا بالقوة الكابحة وحدها، بل لابد من تعاون القوتين وعملهما معا. ولما كان الحديث هنا عن القوامة أي عن القوة الكابحة وكان حظ الرجل موفورا منها كانت القوامة من حقه بأمرالله تعالى الذي خلق الإنسان ويعلم ماتوسوس به نفسه وجعل الرجل مهيئا للقيام بهذه المهمة بسبب تفضيل الله تعالى جنس الرجل على جنس المرأة في قوة الاحتمال والقدرة على العمل والكدح والكبح للعواطف، وذلك في مقابل تفضيل الله تعالى جنس المرأة على جنس الرجل في تدفق المشاعر وفرط العواطف.
أما السبب الثاني في كون القوامة للرجل فقد جاء في قول الحق جل وعلا: **﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾** إن الزوج هو الذي يدفع المهر لزوجه وهو المسؤول عن النفقة على الأسرة فقد هيأه الله سبحانه وتعالى جسمانيا وعقليا ونفسيا كي يكدح وراء لقمة العيش وينفق

على أسرته. وبشأن كدح الرجل في سبيل إيجاد مهر الزوجة يكفي أن نعرف أن موسى عليه السلام قد دفع مهرا لزوجه العمل عشر سنوات لدى والد زوجته شعيب عليه السلام قال تعالى[١]: **﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين. قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك. ستجدني إن شاء الله من الصالحين. قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على مانقول وكيل﴾** إن الزوجة الغالية تستحق أن يدفع الزوج عشر سنوات من عمره وزهرة شبابه مهرا لها. ومن الذي يدفع هذا المهر؟ إنه الزوج المثالي: «القوي الأمين» ومن الطبيعي أن توظف هذه القوة في القوامة. قال تعالى: **﴿الرجال قوامون على النساء﴾**.

وأي نساء تتحدث هذه الآية الكريمة من سورة النساء عنهن وتقول لهن إن الله تعالى جعل القوامة لأزواجهن عليهن بسبب تهيئة الله تعالى الرجل للقيام بهذه المهمة. مهمة قيادة الأسرة في خوضها غمار الحياة واتجاهها إلى الله تعالى؟ إنهن اللاتي يؤمن بالله تعالى ربا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا، وبالقرآن الكريم دستورا، وقد قال عز من قائل[٢]: **﴿وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾** وهذه هي صفات

(١) سورة القصص ٢٦ ـ ٢٨.
(٢) سورة الأحزاب ٣٦.

المؤمنات في الآية الكريمة: **﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾** إن هؤلاء النساء صالحات يعرفن حق الله تعالى عليهن. وإن هؤلاء النساء قانتات مطيعات[١] عن قتادة: قانتات أي مطيعات لله ولأزواجهن[٢] وليست طاعة الزوجات لأزواجهن إلا بأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم. عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[٣] من عظم حقه عليها[٤] وإن هؤلاء النساء حافظات لغيب أزواجهن في أنفسهن وأموالهم وأولادهم وأقوالهم[٥] بحفظ الله إياهن إذ صيرهن كذلك[٦] عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير النساء امرأة: إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك. قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: **﴿الرجال قوامون على النساء﴾**. الآية[٧] وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة[٨] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا. وخياركم خياركم لنسائهم خلقا[٩].

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٣٨.
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٨.
(٣) سنن الترمذي ٣/ ٤٦٥ حديث رقم ١١٥٩.
(٤) زيادة في تفسير ابن كثير ١/ ٤٩٢.
(٥) المصدر السابق ١/ ٤٩١.
(٦) تفسير الطبري ٥/ ٣٩.
(٧) المصدر السابق ٥/ ٣٩.
(٨) سنن الترمذي ٣/ ٤٦٦ حديث رقم ١١٦٢.
(٩) سنن الترمذي ٣/ ٤٦٦ حديث رقم ١١٦٢.

وما العمل حينما تلوح في الأفق بوادر نشوز الزوجة؟ عن ابن عباس: المرأة تنشز وتستخف بحق زوجها ولا تطيع أمره. الجواب في قول الحق جل وعلا: **﴿واللآتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن. فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. إن الله كان عليا كبيرا﴾** وأول مايلاحظ هو أن الآية الكريمة لا يجئ فيها القول: واللاتي نشزن، إنما الذي يجيء: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾** والذي يلفت النظر مجيء جملة: «تخافون» دليلا على المودة والرحمة اللتين جعلهما الله تعالى بين الزوجين إلى الحد الذي يخاف الزوج معه ويصيبه الفزع لمجرد الظهور لطلائع النشوز من الزوجة. إن النشوز حينما يكون من الزوجة وتكون قوتها الدافعة عنيفة يكون في المقابل اللجوء إلى القوة الكابحة أو القوامة التي ينبغي على كل زوج يؤمن بالله تعالى وباليوم الآخر أن يلتزم بحكم الله تعالى فيها وبتنفيذ ماجاء في الآية الكريمة بدقة متناهية من خطوات تبدأ بالأقرب تناولا وبالوسيلة الأسهل فإذا تأكد للزوج عدم جدوى الخطوة الأولى الأسهل تحول إلى التي تليها وهكذا حتي يتم استنفاد سائر الخطوات. وإذا كان للحكمة دورها في تنفيذ هذه الخطوات وللعقل، فإن للإيمان دوره كذلك وللعاطفة الإيمانية. ويتجلى كل ذلك بوضوح من ضرب الآية الكريمة بقوة على وتر القوة الإيمانية فليتق الأزواج الله تعالى وليقولوا قولا سديدا: **﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. إن الله كان عليا كبيرا﴾** ومن أقوى الأدلة على أن القوة الإيمانية مطلوبة هنا بقدر طلب القوة الكابحة أن الآية الكريمة لا تكتفى بالوقوف

الممكن عند لفظة «سبيلا» من القول **﴿فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾** إنما تضيف هذا القول **﴿إن الله كان عليا كبيرا﴾** الذي يفيد أن الله تعالى هو العلى وحده وهو الكبير الأكبر من كل كبير فعلى كل مسلم أن يعرف ذلك جيدا وبخاصة الأزواج الذين جعل الله تعالى لهم القوامة فعليهم أن يراقبوا الله تعالى جيدا ويتقوه تعالى ما استطاعوا في تنفيذ أحكام الله تعالى بشأن القوامة. إن على الزوج الذي يؤمن بالله تعالي وباليوم الآخر ألا يتجاوز إلى الخطوة التالية حتي يستنفذ الخطوة السابقة كما أمر الله تعالي.

إن ثمة ثلاث خطوات أشار اليها قول الحق جل وعلا: **﴿فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾**.

ومعنى: «فعظوهن» عن ابن عباس يعني عظوهن بكتاب الله. قال: أمره الله إذا نشزت أن يعظها ويذكرها الله ويعظم حقه عليها[(١)].

ومعني: **﴿واهجروهن في المضاجع﴾** عن ابن عباس: واهجروهن في المضاجع يعني بالهجران أن يكون الرجل وامرأته على فراش واحد لا يجامعها[(٢)] وعن ابن عباس أنها لا تترك في الكلام ولكن الهجران في أمر المضجع[(٣)] وعن السدي: يرقد عندها ويوليها ظهره ويطؤها ولا يكلمها[(٤)] والمراد بالمضجع هنا مكان نوم الزوج مع زوجه والمرقد[(٥)] «إن أقل حالات هجر الزوجة

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٤٠.
(٢) تفسير الطبري ٥/ ٤١ وتفسير ابن عطية ٤/ ٤٥.
(٣) تفسير الطبري ٥/ ٤١.
(٤) تفسير الطبري ٥/ ٤١.
(٥) انظر مثلا الكشاف ١/ ٣٩٥ والبحر المحيط ٣/ ٢٤١ وتفسير القرطبي ١٧٤١.

في المضجع هو عدم الاقبال عليها بوجه الرضا في حال النوم معها في فراش واحد والاتصال بها جنسيا.

يلي ذلك عدم الإقبال على الزوجة بوجه الرضا في حال النوم معها في فراش واحد وعدم الاتصال بها.

يلى ذلك عدم الإقبال على الزوجة بوجه الرضا في حال هجرها في المضجع ولكن مع الاتصال بها.

يلي ذلك عدم الإقبال على الزوجة بوجه الرضا في حال هجرها في المضجع وعدم الاتصال بها»[١].

ويصح أن نتبين أن عدم الإقبال على الزوجة بوجه الرضا هو القاسم المشترك بين حالات الهجر في المضجع.

ومعنى: «واضربوهن» عن ابن عباس: ضربا غير مبرح[٢] بمعنى غير مؤثر ولا شائن[٣] ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع: واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان، ولكم عليهن ألا يوطئن فراشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح[٤] قال بالسواك ونحوه[٥] ويلحق بالسواك فرشاة الأسنان وما في حكمها.

---

(١) تأملات في سورة النساد ١٦٠ (مخطوط).
(٢) تفسير الطبري ٥/ ٤٤.
(٣) المرجع السابق ٥/ ٤٤.
(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٤٩٢ وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٥١ حلبي تصوير بيروت. وسنن الترمذي ٣/ ٤٦٧ حديث رقم ١١٦٣.
(٥) تفسير الطبري ٥/ ٤٤ وهذا تفسير ابن عباس للقول: «غير مبرح» في خطبته عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع.

والآية الكريمة التالية تتحدث عن الشقاق حينما يشترك فيه الزوجان. قال تعالى: **﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما. إن الله كان عليما خبيرا﴾**.

وكما جاء في الآية الكريمة السابقة الإشارة إلى الخوف بين يدي النشوز في القول: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾** جاءت الإشارة إلى الخوف بين يدي الشقاق في بداية الآية الكريمة: **﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾** وإذا كان الخوف بشأن النشوز دليلا على اهتمام الأزواج بالزوجات فإن الخوف هنا بشأن الشقاق بمعنى المخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك[1] دليل على اهتمام أولياء الأمور من حكام وقضاة ومن إليهم[2] بالزوجين. وذلك من مظاهر التعاطف والتراحم بين المؤمنين. إن الآية الكريمة تخاطب أولي الأمر وتقول لهم: إنكم إن خفتم شقاق بين الزوجين والمخالفة بينهما إلى الحد الذي يأخذ كل منهما غير شق الآخر في الاتجاه إلى الطلاق فابعثوا حكما حكيما معروفا بالصلاح وبسداد الرأي والحرص على فعل الخيرات من أهل الزوج وحكما آخر من أهل الزوجة يرتضيه كل من الزوجين. وإن لم يوجد الحكم من الاهل يصح ان يكون من غير الاهل. ويجتهد هذان الحكمان في الإصلاح وتقريب وجهات النظر والأخذ على يد الناشز الظالم منهما. فإن تأكد الحكمان استحالة الاستمرار للحياة الزوجية فُرِّق بينهما: «والفراق في ذلك طلاق بائن»[3].

---

(١) مفردات الراغب الاصفهاني: «شق» ٢٦٤.

(٢) انظر مثلا تفسير الطبري ٥/٤٧ وتفسير ابن كثير ١/ ٤٩٢ و٤٩٣.

(٣) أتفسير القرطبي ١٧٤٦. طبعة الشعب القاهرة.

وإن القول: ﴿**إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**﴾ يعني الحكمين، في قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما. أي إن يريد الحكمان إصلاحا يوفق الله بين الزوجين. وقيل: المراد الزوجان، أي إن يريد الزوجان إصلاحا وصدقا فيما أخبرا به الحكمين ﴿**يوفق الله بينهما**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**إن الله كان عليما خبيرا**﴾ يتمشى فيه القول: «**عليما**» مع العلم الظاهر، ويتمشى القول: «**خبيرا**» مع العلم الباطن. إن الله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير.

وبشأن الطلاق، أبغض الحلال إلى الله تعالى الذي قد يقرره الحكمان والذي قد يقرره الزوج جاء قول الحق جل وعلا[2] : ﴿**وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما**﴾.

وبشأن ما للنساء وماعليهن وبشأن درجة القوامة للرجال جاء قول الحق جل وعلا[3]: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة. والله عزيز حكيم**﴾.

ومما جعله الله تعالى حقا للنساء المهور التي سبق للأزواج أن أعطوها زوجاتهم مهما تكن المهور كبيرة ولو كانت قنطارا من الذهب. وفي هذا المعنى جاء قول الحق جل وعلا[4]: ﴿**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا. أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**﴾ وإنما ذهبنا إلى أن المراد بالقنطار الكمية الكبيرة من الذهب بسبب جمع الآية الكريمة

---

(١) تتفسير القرطبي ١٧٤٥ .
(٢) سورة النساء ١٣٠ .
(٣) سورة البقرة ٢٢٨ .
(٤) سورة النساء ٢٠ و٢١ .

الخامسة والسبعين من سورة آل عمران بين القنطار والدينار وهو من الذهب وذلك في قول الحق جل وعلا: **﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما. ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾** والآية الكريمة: **﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾** كأنها تحث على الزواج وكأن المهم بعد حصول الفراق بين الزوجين أن تحل الزوجة الأخرى محل الأولى.

والآية الكريمة الأخرى تنكر في أسلوب الاستفهام على الأزواج أن يأخذوا المهور التي سبق لهم أن أعطوها زوجاتهم امتثالا لأمرالله تعالى وقد أفضى بعضهم إلى بعض بعد الزواج ووصل كل من الزوجين إلى أعمق أعماق الطرف الآخر. ثم إن الزوجات قد أخذن من الأزواج ميثاقا غليظا. والميثاق الغليظ قوله تعالى: **﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾**[1] وإن قوله تعالى: **﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾** يفيد معنى قول الحق جل وعلا خطابا للزوجين بعد الطلاق[2]: **﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾**.

وما اكثر مظاهر الفضل بين الزوجين ومنها أن يرعى الزوج زوجته من الوجهة الصحية بامتثال أمر الله تعالى فلا يأتيها في أثناء حيضها، إنما يأتيها بعد طهرها من حيث أمره الله تعالى في القبل

---

(١) أنظر تفسير القرطبي ١٦٧٢.
(٢) سورة البقرة ٢٣٧.

كيف شاء، ومنها أن يقدما لنفسيهما ذكر الله تعالى عند الجماع والدعاء بأن يجنبهما الله تعالى الشيطان وأن يجنب الشيطان مايرزقهما من الولد[1] لقد جاء في هذه المعاني السامية النبيلة وغيرها قول الحق جل وعلا[2]: **﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتي يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله. إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾**.

وإن من أكبر الأدلة وألطفها على حرص الإسلام على رأب الصدع بين الزوجين ولمَّ شتات الأسرة حتي بعد وقوع أبغض الحلال إلى الله تعالى أعني الطلاق وعلى صون الإسلام كرامة المرأة أن الشارع الحكيم لا يسمح بإخراج المطلقات من بيوتهن ولا يخرجن منها حتي تنقضي عدتهن. وفيما يتعلق بالمطلقة بواحدة أو اثنتين ينبه الشارع الحكيم إلى الحكمة من عدم خروج المطلقات من بيوتهن بأن بقاء المطلقة في المنزل بأمر الله تعالى ربما أهاج عواطف الطرفين، وذكرهما بالفضل الذي كان بينهما، وربما أحدث الله تعالى أمرا بسبب بقاء المطلقة في المنزل بأن يراجعها الزوج إذا كان الطلاق بواحدة أو اثنتين. وإليك في هذه المعاني السامية النبيلة وفي الحث على تقوى الله تعالى خاصة حينما يقع أبغض الحلال إلى الله تعالى هذه الآيات الثلاث الأول من سورة الطلاق. قال تعالى:

---

(١) أنظر مثلا تفسير ابن كثير ١/ ٢٦٥ وتفسير القرطبي ٩٠٤ وفتح الباري ٩/ ٢٢٨ حديث رقم ٥١٦٥.
(٢) سورة البقرة ٢٢٢ و٢٢٣.

﴿ياأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم. لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. وتلك حدود الله. ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه. لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا. فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله. ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب. ومن يتوكل على الله فهو حسبه. إن الله بالغ أمره. قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾.

(د) حقوق اليتامى:

ومن الفئات التي عني بها الإسلام عناية بالغة اليتامي. فما أكثر الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة التي عنيت باليتامى وأوصت بهم خيرا. واليتم انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه وفي سائر الحيوانات من قبل أمه[1] واليتامى قد يكونون داخل الأسرة وقد يكونون خارجها. عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بأصبعه السبابة والوسطى[2] وفي رواية: وأشار بأصبعه[3] والسبابة هي الإصبع السباحة التي تلي الإبهام. سميت السباحة لأنها يسبح بها في الصلاة فيشار بها في التشهد لذلك، وهي السبابة إيضا لأنها يسب

---

(١) مفردات الراغب الاصفهاني: «يتم» ٥٥٠ وانظر تفسير ابن عطية ٣/ ٤٨٥.
(٢) فتح الباري ١٠/ ٤٣٦ حديث رقم ٦٠٠٥.
(٣) المرجع السابق ١٠/ ٤٣٦.

بها الشيطان حينئذ[١] وفي الحديث إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت مابين السبابة والوسطى. وهو نظير الحديث الآخر: بعثت أنا والساعة كهاتين. الحديث[٢] ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى[٣] ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة، لما أخرجه أبو يعلى من حديث أبي هريرة رفعه: أنا أول من يفتح باب الجنة، فإذا امرأة تبادرني فأقول: من أنت؟ فتقول: أنا امرأة تأيمت على أيتام لي. ورواته لا بأس بهم. وقوله: تبادرني، أي لتدخل معي أو تدخل في أثري. ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين، سرعة الدخول. وعلو المنزلة[٤] وقد أخرج أبو داود من حديث عوف بن مالك رفعه[٥] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وامرأة سفعاء[٦] الخدين كهاتين يوم القيامة. وأومأ يزيد بالوسطى والسبابة. امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا[٧].

وهذه بعض الآيات الكريمات في إكرام اليتيم ورعاية مشاعره والعناية بمصالحه. قال تعالى في معرض المن على حبيبه صلى الله

(١) أنظر فتح الباري ١٠/ ٤٣٦.
(٢) المصدر السابق ١٠/ ٤٣٦.
(٣) المصدر السابق ١٠/ ٤٣٦.
(٤) المصدر السابق ١٠/ ٤٣٦.
(٥) المصدر السابق ١٠/ ٤٣٦.
(٦) السُّفعة والسُّفع: السواد. وسفعاء الخدين سوداؤهما بسبب المشقة والسهر على اليتامي. وبه سفعة غضب اعتبارا بما يعلو من اللون الدخاني وجه من اشتد به الغضب. أنظر مثلا مفردات الراغب الأصفهاني: «سفع» ٢٣٤.
(٧) سنن أبي داود ٤/ ٣٣٨ حديث رقم ٥١٤٩ وتختلف رواية فتح الباري عن هذه الرواية قليلا.

عليه وسلم[1]: ﴿**ألم يجدك يتيما فآوي**﴾ وقال تعالى[2]: ﴿**فأما اليتيم فلا تقهر**﴾ وقال تعالى[3]: ﴿**كلا بلا تكرمون اليتيم. ولا تحاضون على طعام المسكين**﴾ وقال تعالى[4]: ﴿**أرأيت الذي يكذب بالدين. فذلك الذي يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين**﴾ والدع الدفع الشديد[5] وقال تعالى[6]: ﴿**وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة**﴾ وقال تعالى[7]: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**﴾.

وفي هذه الآية الكريمة من سورة النساء[8] أمرت بالإحسان إلى الوالدين وبذي القربى واليتامى وآخرين. قال تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم. إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا**﴾ ويصح أن نقول إن ترتيب حبات عقد المعاني في الآية الكريمة قد راعى الأهمية من ناحية وكثرة الحدوث من ناحية أخري. إن الآية الكريمة تبدأ بالأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأمرت وراء ذلك بالإحسان إلى الوالدين، وبذي

---

(١) سورة الضحى ٦.
(٢) سورة الضحى ٩.
(٣) سورة الفجر ١٧ و١٨.
(٤) سورة الماعون ١ ـ ٣.
(٥) مفردات الراغب الأصفهاني: «دع» ١٦٩.
(٦) سورة البلد ١٢ ـ ١٦.
(٧) سورة الانسان ٨.
(٨) الآية ٣٦.

القربى وباليتامي، وهؤلاء اليتامى قد يكونون من ذوي القربى وبذلك يكون لهم حقان بسبب القرابة وبسبب اليتم. ويأتي بعد اليتامى الذين يجمعون عادة بين الحاجة وعدم القدرة على العمل المساكين، جمع مسكين، وهو الذي قد ركبه ذل الفاقة والحاجة فتمسكن لذلك[1] وقد يجمع المسكين بين الحاجة وبين عدم القدرة علي العمل، وقد لا يجد فرصة العمل القادر عليه، ومن هنا يتقدم اليتيم المسكين في الحاجة وفي الترتيب في الآية الكريمة. ثم يأتي الأمر بالإحسان إلى الجار ذي القربى. عن ابن عباس: يعني الذي بينك وبينه قرابة[2] وبالإحسان إلى الجار الجنب: عن ابن عباس: يعني الذي ليس بينك وبينه قرابة[3] أخرج الطبراني من حديث جابر رفعه: الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم، له حق الجوار والإسلام والرحم[4] عن عائشة قالت: قلت يارسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابا[5] وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مازال جبريل يوصيني بالجار حتي ظننت أنه سيورثه[6] ثم يأتي الأمر بالإحسان إلى الصاحب بالجنب. عن ابن عباس: الرفيق[7] وعن سعيد بن جبيروآخرين:

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٥٠.
(٢) المرجع السابق ٥/ ٥٠.
(٣) المرجع السابق ٥/ ٥٠.
(٤) فتح الباري ١٠/ ٤٤٢.
(٥) المرجع السابق ١٠/ ٤٤٧ حديث رقم ٦٠٢٠.
(٦) المرجع السابق ١٠/ ٤٤١ حديث رقم ٦٠١٤.
(٧) تفسير الطبري ٥/ ٥٢.

الرفيق في السفر[١] وقيل: امرأة الرجل التي تكون معه إلى جنبه[٢] ويقول الطبري[٣]: (وقد يدخل في هذا الرفيق في السفر والمرأة والمنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه لأن كلهم بجنب الذي هو معه وقريب منه. وقد أوصى الله تعالى بجميعهم لوجوب حق الصاحب على المصحوب) ثم يأتي الأمر بالاحسان إلى ابن السبيل وهو المسافر المنقطع والذي يمر عليك وهو مسافر[٤] وما أقل أبناء السبيل بالقياس إلى الفئات السابقة. أما آخر الفئات التي أوصت الآية الكريمة بالإحسان أليها فإنهم الذين ملكت ايماننا. وهؤلاء غير موجودين الآن. ويصح أن يوجدوا مستقبلا وذلك إذا استرق أعداؤنا أسرانا فإن من حقنا أن نسترق أسراهم.

وقد يكون لليتيم مال ولكنه بسبب صغره لا يحسن التصرف في ماله ومن ثم يكون له ولي أو وصي. وما أكثر عناية القرآن الكريم بأموال اليتامى والتحذير من التفريط فيها أو أكلها ظلما وعدوانا، والحث على رعايتها وتنميتها وتسليمها لليتامي إذا آنس الأوصياء والأولياء منهم رشدا وعقلا، والحث على رعاية مصلحة اليتامى من جميع النواحى. ومن الآيات الكريمات مانهى عن مجرد الاقتراب من مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي احسن قال عز من قائل[٥]: **﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ**

(١) أنظر تفسير الطبري ٥/ ٥٢ وتفسير ابن كثير ١/ ٤٩٥.
(٢) أنظر تفسير الطبري ٥/ ٥٢.
(٣) المرجع السابق ٥/ ٥٣.
(٤) ألمرجع السابق ٥/ ٥٣.
(٥) سورة الإسراء ٣٤.

أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾ وقال تعالى[1]: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾.

على أن أكثر سور القرآن الكريم حديثا عن اليتامى سورة النساء المدنية. وتكثر العناية باليتامى في أثناء الآيات العشر الأول من السورة الكريمة. فلندون تلك الآيات العشر ولنتحدث عن الآيات الكريمات التي تعنى باليتامى مما لم نتحدث عنه من ذي قبل. قال تعالى[2]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُم مِّن نَّفس وَاحدَة وَخَلَقَ منهَا زَوجَهَا وَبَثَّ منهُمَا رجَالاً كَثيراً وَنسَآءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذى تَسَآءَلُونَ به وَالأَرحامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقيباً(١) وَءَاتُوا اليَتَامَى أموَالَهُم وَلاَ تَتَبَدَّلُواَ الخَبيثَ بالطَّيبَ وَلاَ تَأكُلُواَ أموالَهُم إلَى أموَالكُم إنَّهُ كَانَ حُوباً كَبيراً(٢) وَإنَ خفتُمْ ألا تُقسطُوا فى اليتامَى فَانكحُوا مَاطَابَ لَكُم مِّنَ النسَآء مَثنَى وثلاث وَرُبَاعَ فَإن خفتُمْ ألا تَعدلُواْ فَوَاحدَةً أو مَامَلَكَت أيمَانُكُم ذَلكَ أدنَى ألا تَعُولُوا(٣) وَءَاتُواْ النِّسَآءَ صَدُقَاتهنَّ نحلَةً فَإن طبنَ لَكُم عَن شيء منهُ نَفساً فَكُلُوهُ هَنيئاً مَّريئاً(٤) وَلاَ تُؤتُواْ السُّفَهَآءَ أموالَكُمُ الَّتى جَعَلَ اللَّهُ لَكُم قيَاماً وَارزُقُوهُم فيهَا وَاكسُوهُم وَقُولُواْ لَهُم قَولاً مَّعرُوفاً(٥) وَابتَلُواْ اليَتَامَى حَتَّى إذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإن ءَانَستُم منهُم رُشداً فَادفَعُواْ إلَيهم أموَالَهُم

(١) سورة الانعام ١٥٢.
(٢) سورة النساء ١ ـ ١٠.

وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسرَافاً وَبِدَاراً أَن يكبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِياً فَلْيَستَعفِف وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُل بِالمَعرُوف فَإِذَا دَفَعتُم إِلَيهِم أَموَالَهُم فَأَشهِدُوا عَلَيهِم وَكَفَى بِاللَّه حَسِيباً(٦) لِلرِّجَال نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَان وَالأَقرَبُون وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنهُ أَو كَثُرَ نَصِيباً مَفرُوضاً(٧) وَإِذَا حَضَرَ القِسمَةَ أُولُوا القُربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارزُقُوهُم مِنهُ وَقُولُوا لَهُم قَولاً مَعرُوفاً(٨) وَلْيَخشَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِن خَلفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيهِم فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَولاً سَدِيداً(٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَموَالَ اليَتَامَى ظُلماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً وَسَيَصلَونَ سَعِيراً(١٠).

ومن البين أن الآيات الكريمات التي تتحدث عن اليتامى هي الآيات ٢ . ٣ . ٥ . ٦ . ٨ . ٩ . ١٠ ومن البين كذلك أنّه سبق لنا أن تحدّثنا عن الآية الكريمة الثّالثة في أثناء الحديث عما يجب لليتيمة من حقوق المثل إذا أراد وليّها أن يتزوّجها وأعجبه جمالها. ونعتقد أنّه ليس ثمّة مايمنع أن نتحدّث عن جميع الآيات العشر بسبب الترابط المتين بينها على أن يكون ثمّة توضيح أكبر لما له من الآيات الكريمات علاقة مباشرة باليتامى.

إن الآية الكريمة الاولى تأمر النّاس جميعاً في هذه السورة الكريمة المدنية بأن يتقوا ربهم جل وعلا الذي خلقهم من نفس واحدة والمراد آدم عليه السلام وخلق منها زوجها والمراد حواء عليها السلام التي خلقها الله تعالى من أحد أضلاعه عليه السلام ونشر جل وعلا منهما بالتزاوج رجالا كثيرا ونساء. كما تأمر الآية الكريمة بتقوى الله تعالى الذي نتساءل به والذي إذا سأل بعضنا بعضا سأل

به كأن نقول: نسألك بالله. وبأن نتقي الأرحام أن نقطعها[1] إن الله تعالى كان علينا رقيبا وحفيظا[2].

وإن الآية الكريمة الثانية تأمرنا بأن نعطي اليتامى أموالهم وألا نتبدل الخبيث الحرام القليل من أموالنا بالطيب الحلال الكثير من أموال اليتامى، كما تأمرنا بألا نأكل أموالهم وألا نضمها إلى أموالنا وبذلك ضمّن حرف الجرّ «إلى» جملة لا تأكلوا معنى جملة لا تضموا[3] إن ذلك الأكل لأموال اليتامى ظلماً كان إثماً عظيماً[4].

وإن الآية الكريمة الثالثة التي درسناها في غير هذا الموضع بالتفصيل تخبرنا بإنّا إن خفنا أن نظلم اليتامى اللاتي نرغب في الزواج بهن وخشينا ألا نعطيهن مهور المثل في إمكاننا أن نتجاوزهنّ فننكح حتّى الأربع شريطة العدل وإلا فإنه ينبغي علينا الاكتفاء بزوجة واحدة أو ماملكت ايماننا. ذلك أدنى ألا نجور ولا نميل[5] عن الحق[6].

وإن الآية الكريمة الرابعة التي درسناها في غير هذا الموضع كذلك تأمر الأزواج بأن يعطوا الزوجات صدقاتهن ومهورهن[7] نحلة وعن طيب نفس[8] فإن طاب الزوجات عن شيء من المهر نفسا

---

(١) تفسير الطبري ٤/ ١٥٢.
(٢) المرجع السابق ٤/ ١٥٢.
(٣) أنظر هنا مثلا تفسير القرطبي ١٥٨٠ والبحر المحيط ٣/ ١٦٠.
(٤)تفسير القرطبي ٤/ ١٥٤.
(٥) المرجع السابق ٤/ ١٦٠.
(٦) المرجع السابق ١٥٩٠.
(٧) المرجع السابق ١٥٩٣.
(٨) المرجع السابق ١٥٩٤.

فليأكل الأزواج ذلك هنيئا لا مشقة في الحصول عليه[1] مريئا لا داء فيه[2].

وإن الآية الكريمة الخامسة تنهى الأوصياء والأولياء عن أن يعطوا السفهاء غير كاملي العقول وغير المحسنين التصرف في أموالهم وإداراتها، عن أن يعطوهم أموالهم التي جعلها الله تعالى للأولياء وللأوصياء وللأمة جمعاء قياما تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها[3] إن الآية الكريمة يجئ فيها القول: **«أموالكم»** وليس: أموالهم، والقول: **«لكم»** وليس: لهم. وذلك دليل على أن المال مال الأمة ويجب أن يبقى في أيدي المصلحين وليس في أيدي المفسدين السفهاء وإن كان في الحقيقة مالا للسفهاء ولكنهم لا يتسلمونه حتى يثبت رشدهم. وهذا المال مادام في أيدي الأولياء والأوصياء فإن الواجب عليهم أن يحافظوا عليه وأن ينموه كما لو كان مالهم ولذلك جاء القول في الآية: **«أموالكم»** و: **«لكم»**.

ومادام المال في أيدي الأولياء والأوصياء فإن عليهم أن يرزقوا السفهاء منه ويكسوهم وأن يقولوا لهم قولا معروفا بأن المال مالهم وسوف يتسلمونه مستقبلا وفي الوقت المناسب. وفي الآية الكريمة يجئ الجار والمجرور «فيها» من القول: **«وارزقوهم فيها»** ولا يجئ القول: وارزقوهم منها، دليلا على وجوب تنمية أموال اليتامى بحيث إن رزقهم وكسوتهم لا يكونان من رأس المال وإنما من الربح

(١) تفسير القرطبي ١٥٩٧.
(٢) المرجع السابق ١٥٩٧.
(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٤٥٢.

الذي أومأ اليه الجارّ والمجرور: «فيها».

وإن الآية الكريمة السادسة تأمر الأولياء والأوصياء بأن يختبروا اليتامى ويمتحنوا قواهم العقلية ويعرفوا مدى قدراتهم على التصرف في أموالهم. حتى إذا بلغوا النكاح وناهزوا الحلم واستكمل الواحد منهم خمس عشر سنة[1] فإن آنس الأولياء والأوصياء منهم رشدا، ووجدوا منهم وعرفوا[2] عقلا وصلاحا في الدين[3] وإصلاحا للمال وحفظا[4] فعلى الأولياء والأوصياء أن يدفعوا إلى اليتامى أموالهم، وعليهم ألا يأكلوا أموال اليتامى إسرافا بغير ما أباحه الله تعالى لهم[5] ومبادرة[6] منهم إلى انتهابها قبل أن يكبر اليتامى ويبلغوا الرشد ويطلبوا أموالهم. إن تبذير أموال اليتامى حرام. وإن أكل أموالهم بالباطل قبل أن يفطن اليتامى لأموالهم ويطلبوها حرام أيضاً. وتعطي الآية الكريمة الأوصياء على أموالهم الاهتمام الذي يستحقون وتسمح لهم أن يأخذوا من مال اليتيم بالمعروف مقابل المجهود الذي يبذلون وتحثهم على أن يفعلوا الخير ويحتسبوا عند الله تعالى مايبذلون من مجهود في رعاية مصالح اليتامى. إن الآية الكريمة تسمح لمن كان من الأوصياء فقيرا أن يأكل من أموال اليتامى بالمعروف. قال الفقهاء:

(١) أنظر مثلا تفسير ابن كثير ١/ ٤٥٢.
(٢) تفسير الطبري ٤/ ١٦٩.
(٣) المرجع السابق ٤/ ١٦٩.
(٤) المرجع السابق ٤/ ١٦٩.
(٥) المرجع السابق ٤/ ١٧٠.
(٦) المرجع السابق ٤/ ١٧٠.

له أن يأكل أقل الأمرين، أجرة مثله أو قدر حاجته[1] أما من كان من الأوصياء غنيا فإن عليه أن يستعفف عن مد يده إلى مال اليتيم عند الله تعالى. فإذا دفع الأوصياء إلى اليتامى أموالهم فعلى الأوصياء أن يشهدوا على اليتامى بأنهم قد أخذوا أموالهم كاملة غير منقوصة، وحقوقهم تامة غير مبخوسة. ولما كانت الآية الكريمة تدور حول الأموال والحسابات فقد ختمت بالقول: ﴿**وكفي بالله حسيبا**﴾ وفي ذلك تنبيه إلى أن هذه الحسابات البشرية بشأن أموال اليتامى وغير أموال اليتامى لا يعلمها على حقيقتها إلا الله تعالى فعلى الأوصياء بخاصة الناس بعامة أن يتقوا الله تعالى وأن يقولوا قولا سديدا.

وإن الآية الكريمة السابعة تومئ إلى الميراث الذي جاءت آياته في سورة النساء وحدها وإلى أن الله سبحانه وتعالى قد خص كل وارث بحقه.

وإن الآية الكريمة الثامنة تقرر أنه إذا حضر قسمة الميراث أولو القربى واليتامى والمساكين والذين لا يرثون فإن على الورثة أن يعطوا هذه الفئات شيئا مما تجود به نفوسهم وأن يقولوا لهم قولا معروفا تطيب به نفوس أولئك المحتاجين.

وإن الآية الكريمة التاسعة تأمر الورثة بأن يخشوا الله تعالى[2] في ضعاف اليتامى وتأمرهم بأن ينزلوا اليتامى منزلة ذراريهم وبأن

---

(١) تتفسير ابن كثير ١/ ٤٥٣.

(٢) أنظر هنا مثلا البحر المحيط ٣/ ١٧٧ بشأن مفعول جملة: «وليخش» المحذوف. وتفسير ابن عطية ٣/ ٥٠٦.

ينزلوا أنفسهم منزلة الأوصياء على ذراريهم. فكما أنهم يريدون للأوصياء على ذراريهم الضعفاء أن يراقبوا الله تعالى ويتقوه جل وعلا، كذلك يجب على هؤلاء الأوصياء أن يراقبوا الله تعالى في ضعاف اليتامى وأن يتقوا الله تعالى فيهم وأن يقولوا قولا سديدا يرضي الله تعالى أولا وتطيب به نفوس اليتامى أخيرا.

وإن الآية الكريمة العاشرة تقرر أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون نار جهنم وسعيرها بمعنى شدة حرها[1].

وإنما عبرت الآية الكريمة بالأكل عن تبذير أموال اليتامى لأن الأكل أكثر ماتنفق فيه الأموال التي يتم الحصول عليها بالحق وبالباطل. ولما كان أكل أموال اليتامى بالباطل يفضي بالآكلين إلى النار وبئس المصير والعياذ بالله، فكأن آكلي أموال اليتامى بالباطل إنما يأكلون في بطونهم نارا. وإمعانا في التحذير من أكل إموال اليتامى بالباطل لا تستغني الآية الكريمة عن القول «في بطونهم» مع إمكان الاستغناء عنه، وصحة الكلام بدونه، خاصة وأن الطعام إنما يصير إلى البطن.

عن ابن عباس قال: لما نزلت: **﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾** و: **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾** انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل الشئ من طعامه

---

(١) تفسير الطبري ٤/ ١٨٥.

فيحبس له حتى يأكله أو يفسد. فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل[1] : **﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير. وإن تخالطوهم فإخوانكم. والله يعلم المفسد من المصلح. ولو شاء الله لأعنتكم. إن الله عزيز حكيم﴾** فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم[2].

إن رب العزة يقول لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم إن أصحابك يسألونك عن اليتامى قل لهم يامحمد إصلاح لهم في كل الشؤون خير. وإن تخالطوهم فإنهم إخوانكم في الدين. وتشمل هذه المخالطة المال سبب نزول الآية الكريمة، كما تشمل المخالطة العمل على تنمية ذلك المال والعشرة والنكاح وما إلى ذلك. وتقرر الآية الكريمة أن الله تعالى يعلم المفسد من المصلح فاحذروه جل وعلا، ولو شاء الله تعالى إعناتكم[3] وايقاع المشقة بكم بمنعكم عن المخالطة لفعل ولكن الله تعالى يريد بكم اليسر ولا العسر. إن الله سبحانه وتعالى هو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه[4].

ومن أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في اليتامى مايلى :

عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أحرِّج[5] حق الضعيفين: اليتيم والمرأة[6].

---

(١) سورة البقرة ٢٢٠.

(٢) إنظر تفسير الطبري ٢/ ٢١٧ وأسباب النزول ١٠٣.

(٣) البحر المحيط ٢/ ١٦٣.

(٤) درسنا الآية الكريمة في: تأملات في سورة البقرة ١٢٦١ ـ ١٢٦٥.

(٥) أحرج عن هذا الإثم: احذر من ذلك تحذيرا بليغا وأزجر عنه زجرا أكيدا.

(٦) سنن ابن ماجه ٢/ ١٣١٣ حديث رقم ٣٦٧٨.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه. وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه[١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات. قيل: يارسول الله: وماهن؟ قال: الشرك بالله. والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[٢].

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ١٢١٣ حديث رقم ٣٦٧٩ واختلف العلماء في درجة صحة هذا الحديث.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥٦.

الخاتمـــة

بفضل من الله تعالى ونعمة، دار حديثنا في الصفحات السابقة عن موضوع: الاسرة المسلمة في ضوء القرآن، حول عدة مسائل تتعلق بالحث على بناء الأسرة المسلمة، وبأخذ الحذر من مخططات الخصوم لهدم الأسرة المسلمة، وببعض الوسائل لحماية الذُّرِّيَّة وبحماية عفاف الأسرة المسلمة، وحماية حقوق الأسرة المسلمة منْ آباء وأمهّات وأبناء ونساء ويتامى. ولما كانت السنّة النّبويّة المطهَرة مبيّنةً للقرآن الكريم فقد كان اعتماد هذه الدراسة، بفضل الله تعالي، بعد القرآن الكريم على السنّة النّبويّة المطهّرة اعتماداً كبيراً.
والله تعالى نسأل أن نكون قد وفّقنا في هذا العمل كما نسأله جلّ وعلا أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله، إنّه جلّ وعلا أكرم مسؤول وأعظم مأمول. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

فهرست المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* الآمدي (ابو القاسم الحسن بن بشر)

الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. تحقيق السيد أحمد صقر. ذخائر العرب. دار المعارف بمصر ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

* ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تحقيق د. صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد. بيروت. لبنان ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

* ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن)

صيد الخاطر، تصوير المكتبة السلفية. الخانجي ١٣٤٥هـ.

* ابن حنبل (الإمام أحمد بن محمد)

المسند شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر. الطبعة الرابعة. مصورة عن طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

* ابن الخطيم (قيس)

ديوان شعر. تحقيق وتعليق د. ناصر الدين الأسد. الطبعة الثانية. بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

* ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي)

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .
تحقيق وتعليق : الرحالي الفاروقي ، عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، السيد عبد العال السيد إبراهيم ، محمد الشافعي صادق العناني ، الطبعة الأولى . قطر ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٧م .

* ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)

مقاييس اللغة . تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون . الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م حلبي مصر .

* ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير)

تفسير القرآن العظيم . دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م .

* ابن ماجه (الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني)

سنن ابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . تصوير دار الكتب العلمية . بيروت ، لبنان .

* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)

لسان العرب . بيروت ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

* ابن هشام (عبد الملك)

السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، حلبي ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م تصوير بيروت .

* أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان)

البحر المحيط . تصوير بيروت . بدون تاريخ .

* أبو داود (الإمام الحافظ سليمان بن الأشعب السجستاني الأزدي)

سنن أبي داود. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. تصوير المكتبة العصرية. صيدا، بيروت.

* أسد (محمد)

الاسلام على مفترق الطرق، ترجمة الدكتور عمر فروخ. الطبعة السابعة ١٩٧١م بيروت.

* باجودة (حسن محمد)

- تأملات في سورة آل عمران. من مطبوعات نادي جدة الأدبي الثقافي ١٤١٣هـ.

- تأملات في سورة الأحزاب. من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- تأملات في سورة الإسراء. القاهرة ١٩٧٨م.

- تأملات في سورة الأنعام (مخطوط).

- تأملات في سورة البقرة. دار مصر للطباعة ١٩٩٢م.

- تأملات في سورة الرعد. القاهرة ١٩٧٩م.

- تأملات في سورة الفرقان.

القاهرة ١٩٧٧م ومكة المكرمة ١٤١٤هـ.

- تأملات في سورة المائدة. من مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤١٤هـ.

ـ تأملات في سورة محمد صلى الله عليه وسلم. الطبعة الثانية. مكة المكرمة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

ـ تأملات في سورة النازعات. الطبعة الثالثة. مكة المكرمة ١٤١١هـ.

ـ تأملات في سورة النساء (مخطوط).

أجوبة على أسئلة، رابطة العالم الاسلامي ١٤١٢هـ.

ـ جمهورية المالديف، المنتجع والمصيف (مخطوط)

ـ معاملة الإسلام للأسرى

(مجلة) رسالة المسجد العدد الرابع السنة الرابعة ربيع الأول ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

ـ من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم.

دار الكتاب الإسلامي القاهرة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ من مظاهر إعجاز آية من آيات الأحكام.

مجلة المنهل العدد ٥٠١ المجلد ٥٤ رجب ١٤١٣هـ ـ يناير ١٩٩٣م.

* البخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم).

كتاب الصحيح. كتاب الشعب ١٣٧٨هـ.

* بوكاي (موريس)

القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم. دار المعارف بمصر ١٩٧٩م.

* الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة)

الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر. تصوير المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة. بدون تاريخ.

الشمائل المحمدية. إخراج محمد عفيف الزعبي. الطبعة الأولى. جدة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

* الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)

المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد الكيلاني. دار المعرفة. بيروت. لبنان. بدون تاريخ.

* الزركلي (خير الدين)

الاعلام. الطبعة الخامسة. بيروت ١٩٨٠م.

* الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر)

الكشاف. حلبي ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.

* سابق (السيد) فقه السنة. الطبعة الأولى. بيروت. ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

* السيوطي (جلال الدين)

تفسير الجلالين. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة. الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. المدينة المنورة.

* شمتز (باول)

الاسلام قوة الغد العالمية. ترجمة الدكتور محمد شامة. القاهرة ١٩٧٤م.

* صافي (محمود)
الجدول في إعراب القرآن وصرفه. تصنيف محمود صافي مراجعة لبنه الحمصي
طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
دار الرشيد دمشق بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
* الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير)
جامع البيان في تفسير القرآن. بولاق ١٣٢٩هـ.
* العكبري (أبو البقاء عبدالله بن الحسين)
التبيان في إعراب القرآن. تحقيق علي محمد البجاوي حلبي ١٩٧٦م.
* الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)
معانى القرآن. تصوير عالم الكتب. بيروت. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨م الطبعة الثانية.
* القرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري)
الجامع لأحكام القرآن. دار الشعب. القاهرة. بدون تاريخ.
* الفيروز ابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)
القاموس المحيط.
* مالك (الإمام مالك بن أنس)
الموطأ. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. تصوير بيروت.

* مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري)
كتاب الصحيح بشرح النووي. المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩هـ.
* المودودي (أبو الأعلى)
الحجاب. القاهرة ١٩٧٧م.
حركة تحديد النسل. بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
* الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري)
مجمع الأمثال. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.
* الندوي (أبو الحسن)
النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم. القاهرة ١٩٧٥م.
* الندوي (السيد سليمان)
الرسالة المحمدية. الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م دمشق. نقله من اللغة الأوردية محمد ناظم الندوي. مدير الجامعة العباسية في بهاولبور.
* النووي (يحيى بن شرف)
رياض الصالحين. تصوير بيروت. بدون تاريخ.
* النيسابوري (أبو الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري)
أسباب النزول. تحقيق السيد أحمد صقر. الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. دار القبلة للثقافة الإسلامية. جدة مؤسسة علوم القرآن. سوريا، دمشق، بيروت.
* دائرة المعارف البريطانية. طبعة عام ١٩٧٥م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

صدر من هذه السلسلة

١ -	تأملات في سورة الفاتحة	الدكتور حسن باجودة
٢ -	الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه	الأستاذ أحمد محمد جمال
٣ -	الرسول في كتابات المستشرقين	الأستاذ نذير حمدان
٤ -	الاسلام الفاتح	الدكتور حسين مؤنس
٥ -	وسائل مقاومة الغزو الفكري	الدكتور حسان محمد مرزوق
٦ -	السيرة النبوية في القرآن	الدكتور عبد الصبور مرزوق
٧ -	التخطيط للدعوة الاسلامية	الدكتور محمد علي جريشة
٨ -	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية	الدكتور أحمد السيد دراج
٩ -	التوعية الشاملة في الحج	الأستاذ عبد الله بوقس
١٠-	الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره	الدكتور عباس حسن محمد
١١-	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢-	السنة في مواجهة الأباطيل	الأستاذ محمد طاهر حكيم
١٣-	مولود على الفطرة	الأستاذ حسين أحمد حسون
١٤-	دور المسجد في الاسلام	الأستاذ محمد علي مختار
١٥-	تاريخ القرآن الكريم	الدكتور محمد سالم محيسن
١٦-	البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام	الأستاذ محمد محمود فرغلي
١٧-	حقوق المرأة في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨-	القرآن لكريم كتاب أحكمت آياته [١]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٩-	القراءات أحكامها ومصادرها	د.شعبان محمد اسماعيل
٢٠-	المعاملات في الشريعة الاسلامية	الدكتور عبد الستار السعيد
٢١-	الزكاة فلسفتها وأحكامها	الدكتور علي محمد العماري
٢٢-	حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم	الدكتور أبو اليزيد العجمي
٢٣-	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٢٤-	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	الدكتور عدنان محمد وزان
٢٥-	الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦-	تربية النشء في ظل الاسلام	الدكتور محمد محمود عمارة
٢٧-	مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨-	وحي الله	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩-	حقوق الانسان وواجباته في القرآن	حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠-	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	الأستاذ محمد عمر القصار

١٢١ - الإسلام هو الحل	القاضي الشيخ محمد سويد
١٢٢ - نظرات في قصص القرآن	الأستاذ محمد قطب عبد العال
١٢٣ - من حصاد الفكر الإسلامي	د. محمد محي الدين سالم
١٢٤ - خواطر اسلامية	الأستاذ ساري محمد الزهراني
١٢٥ - الإسلام ومكافحة المخدرات	الأستاذ اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦ - دروس تربوية نبوية	الأستاذ صالح أبو عراد الشهري
١٢٧ - الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨ - من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩ - خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣٠ - خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني]	الأستاذ أحمد محمد جمال
١٣١ - المسجد البابري قضية لا تنسى	عبد الباسط عز الدين
١٣٢ - التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج عبد العزيز الوزان
١٣٣ - الإعلام الإسلامي ووسائل التصال الحديث	الأستاذ ابراهيم اسماعيل
١٣٤ - تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥ - منهاج الداعية	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٣٦ - في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي
١٣٧ - التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨ - الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩ - سقوط الأيديولوجيات	الأستاذ أنور الجندي
١٤٠ - الطفل في الإسلام	الأستاذ محمود الشرقاوي
١٤١ - التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢ - لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي جفاجي
١٤٣ - الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤ - أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥ - الهجوم على الإسلام	الأستاذ أحمد أبو زيد
١٤٦ - الإسلام والنظام العالمي الجديد	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧ - من جماليات التصوير في القرآن الكريم	محمد قطب عبد العال
١٤٨ - الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	زيد بن محمد الرماني
١٤٩ - الماسونية والمرأة	جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠ - جوانب من عظمة الإسلام	اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

طبع بمطابع رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة